مسافات عائلية :

تَرْوِيضُ الرَّجُل

دكتور / يحيى الأحمدى

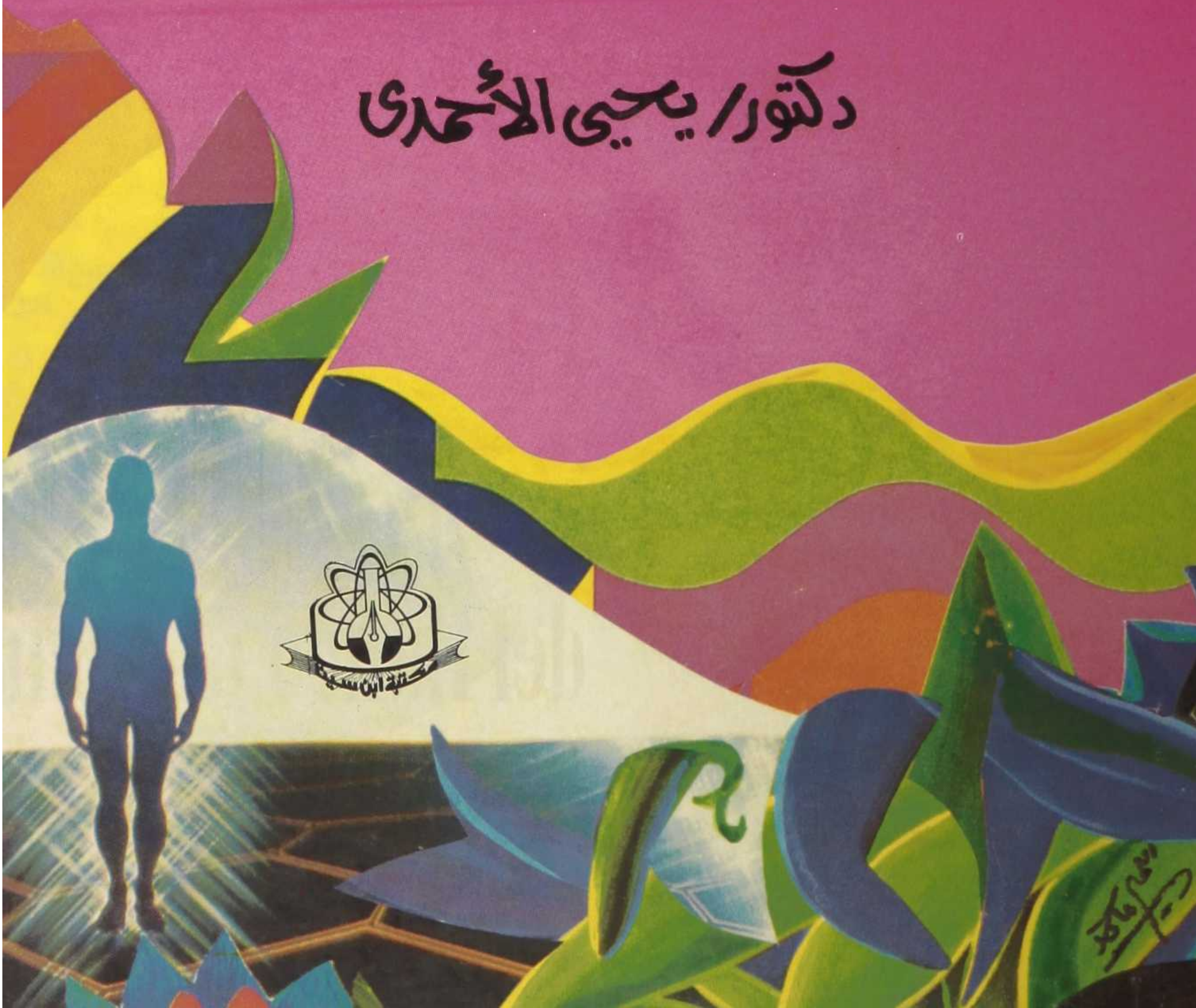

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت: ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم: (٧١)

مسافات عائلية:

تَرْويضُ الرَّجُل

دكتور/ يحيى الأحمدى

مكتبة ابن سينا
للنشر والتوزيع والتصدير
٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - النزهة
مصر الجديدة - القاهرة - ت ٢٤٧٩٨٦٢ فاكس ٢٤٨٢-٢٤٨

تطلب جميع منشوراتنا من الوكيل الوحيد بالمملكة العربية السعودية

مكتبة الساعى للنشر والتوزيع

الرياض - ت: ٤٣٥٣٧٦٨ فاكس: ٤٣٥٥٩٤٥ فرع جدة ت: ٦٥٣٢٠٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

أما قبل ..

عندما انسحبت الشهقة الأخيرة من الضوء نحو البحر اللجى .. وحامت جحافل الأشرعة حول مرساها .. واستكانت حناجر المغردين فوق الصفصاف المتثائب .. وامتطت الفراشات المنهكة ظهر الورد الناعس.. واتخذت الزاحفات موئلا بين شقوق الأرض الحانية .. وعاثت أصابع الريح بفراغات الصخر الآمن .. وسعت أقدام الناس حثيثاً نحو «قبور» الموت الأصغر .. كنت هناك .. أرقب سكون أوتار «الوصلة» الأولى الصاخبة .. وأرصد بدء «الوصلة» الأخيرة الهادئة .. من العزف على اللحن الخالد .. «أنشودة الطبيعة» .

ها هو صوت الليل يهمس فوق الجبل الممتد .. لا أكاد أستبين دغدغات حروفه من فرط صفير الصمت .. وهو يحكى للكون قصة الكون .. قصة الغرام الأبدى للنصف .. الباحث دوماً عن نصفه .. قصة الأضلع الهائمة على وجهها تبحث عن أخيها «الأعوج» .. قصة السيف المفتون – ويا للعجب – بسجن غمده .. قصة الذكر الباكى الباحث عن أنثاه لتضحكه .. والأنثى الضاحكة الباحثة عن الذكر ليبكيها .. ثم يلتقيان .. فينكر أنها أضحكته وأبكاها .. وتتفنن فى أن تبكيه مثلما أضحكته .. ثم تضحك لبكائه .. ثم يستندان برأسيهما إلى جدار العمر .. ينتحبان معا ..!!

* * *

تلك إذن – ولا بأس من قليل من التفاصيل الناعمة – قصتهما .. لا يمل الليل يحكيها .. ولا يمل النهار ينشرها .. ولا يمل كلاهما يسمعها ولا يلقى لها بالا .. لتعود أنشودة الطبيعة .. تشحذ أوتار نغماتها لتقول حكاية الكون من جديد .. لأولئك الصمّ الذين يعمرونه ..!!

* * *

ويبدو أنها أقسمت – ثقة وغروراً – أن تنيخ رأسه عند قدميها .. ويبدو أنه أقسم هو الآخر – نبلاً وشهامة – أن يبرها فى قسمها !! وبين ما اعتقدته – ولاتزال – عن حتمية بحث كله عن جزئها .. حتمية لهفة أضلعه المكلومة على ضلعها الغائب عنها ..

وبين ما اعتقده – ولايزال – عن ضرورة احتياج جزئها إلى كله .. ضرورة سعى «الواحد» اليتيم نحو الصدر الذى يحتوى «أهله» بين هذا وذاك .. قام الصراع ولايزال بينهما .. صراع بين مفاهيم أكثر منه .. بين أجساد .. صراع نتج عن «سوء فهم» فأوصلهما إلى ماهما عليه من «سوء تفاهم» !!

فهى من ناحيتها تسعى دوماً إلى ترويضه .. كحيوان ذى غرائز .. متناسية أنها يجب أن تخاطب فيه الرجولة .. لا الذكورة !!

وهو من ناحيته .. يسعى إلى محاورة أنوثتها بكل اللغات التى يجيدها – وحتى تلك التى لايجيدها – متناسياً أنها امرأة تبحث بفطرتها دوماً عن الرجل «القوى .. الأمين» – كما قالت ابنة شعيب نبى الله .. وإن اضطرت إلى مغازلة ذكورته أحياناً كثيرة .. مدفوعة بفهمها المغلوط لحيوانيته !!

وهكذا يفضى سوء الفهم إلى صراع .. ثم إلى نزال .. ينال فيه كل فريق جولة أو جولات .. فيتأكد له أنه على حق فى فهمه ومفاهيمه .. ويخسر كل فريق جولة أو جولات .. فيرفض أن يعزوها إلى خطأ «النظرية» .. بقدر ما ينسبها - قانعاً - إلى سوء «التطبيق» .. ليستمر الجدل .. ولا أحد - للأسف - يريد أن يحكى لنا خبراته المهزومة لنعيد النظر فى مسلماتنا التى يحسبها البعض تاريخاً يجب ألا يمس .. ولا أحد يريد أن يتوقف عن الخلط بين خبراته الحقيقية وأضغاث أحلامه .. فيحكى لنا واقعاً مزيفا عن انتصاراته .. ليتلقفها المترصدون على نواصى التجربة .. ويمارسوها مع الآخرين والأخريات .. فيخفوا عنا الهزائم .. ويطرحوا علينا جولات الانتصار المزيفة .. لتستمر الدائرة المفرغة .. تنتظر من يصدقنا القول .. لنعمل - بدورنا - معاول الهدم فى تلك الدائرة البغيضة .. تحطيماً!!

* * *

وهذا الكتاب هو مجموعة من المقالات والتى حرصت فيها على أن أستقطر ذاكرتى حروفاً تحكى ما حسبته قراءة جديدة فى دفتر قديم .. رؤية نحسب أننا نضيق بها «المسافات العائلية» التى نراها اتسعت بفعل سوء الفهم .. وسوء التفاهم ..

وجهات نظر استودعتها الركن الآمن من ذاكرتى .. منذ طفولتى التى قضيت بعضها مستنداً إلى سور الجسر المشوق بعرض النهر الصغير الذى يمر ببلدتنا .. الهاجعة هناك على ضفتيه .. أرصد واقعاً مريراً تتحرك شخوصه من الرجال والنساء أمام عيونى الصامتة .. وقضيت بعضها الآخر تحت عمود النور «المطفأ» أمام منزلنا .. الذى استنطقتنى غياب

ضوئه أكثر مما استنطقتنى كل الأضواء المبهرة التى تحيط بى الآن !!

وجهات نظر .. تلاقحت فيها تلك الخبرات مع حصاد سنوات التجوال فى أرض الله - للعلم والعمل - فكانت مزيجاً .. أظنه يصلح بذوراً نلقيها فى أرض قرائى وقارئاتى .. داعين الله أن تنبت - برعاية وعيهم وحرصهم على رفض الواقع البليد - فكراً يبعث فهماً جديداً .. لينفخ قبلة الحياة فى تفاهم أفضل .. بين الرجل .. والمرأة !!

* * *

وأخيراً ..

كل الامتنان .. إلى كل من أطعمنى فكرة .. أو أهدى إلىّ معنى .. أو استنفر قلمى بموقف .. كل الامتنان - وهو كثير - إلى كل هؤلاء - وهم كثر ..

لكننى - إن نسيت - لا أنس فضل الصديق الصحفى « الأستاذ رأفت السويركى » .. مدير تحرير مجلة «الرياضة والشباب» التى تصدر بدولة الإمارات العربية المتحدة - دبى .. الذى حرص - بكرم - على استضافة مقالاتى هذه على صفحات مجلته ..

فإليه .. أهدى هذا الكتاب ..

د. يحيى الأحمدى

القاهرة : ١٩٩٥/٨/٣١

عقوق .. النساء !!

.. عندما تُحلّق المرأة في سماء الرجل .. وتظلله بأجنحتها .. ثم تنيخ قلبها بين راحتيه .. حبّا وقربا .. فإنه يحمدها – إن فعل – سرّاً .. فلا يطلعها ولا يطلعنا .. !!

أما .. وعندما تكلُّ أجنحتها من طول الترحال حوله .. ويملّ قلبها من خمول الدفء بين راحتيه .. فإن رجلها .. يشكوها – وهو لابد فاعل – علناً وجهاراً فيُسمعها .. ويُسمعنا .. ويُسمع من فى أذنيه .. صمم !!

* * *

.. عندما يزغرد ليل المرأة .. طرباً لأنيسها الوله .. وتصافح نسماته الباردة صفحة وجهها الألق .. وتنعكس ألوان الشمس على معصمها الزاخر بما يحمله .. ويجمّله .. فإنها تحمد رجلها – وهى لابد فاعلة – علانية .. وتقرأ على القريب .. والبعيد ، آيات الامتنان .. لذلك الرجل الذى جاد به زمانها عليها ولم يبخل ..

أما .. وعندما يستنزف الرجل زيت مصباحها .. فلا يعود ينشر ألوانه فى خميلتها .. وعندما ترتخى أوتار قيثارتها ، بفعل إهمال العازف .. فلا تعود تشنف الآذان موسيقاها الصادحة .. فإن شكواها – إن فعلت – فسوق .. وضجرها .. عقوق .

* * *

لقد صار عقوق النساء .. ديدناً للبعض منا .. وصار جهادهن فى سبيل

انتزاع حقوقهن .. همّا .. ربما يوصلهن إلى مرحلة الجهاد .. «المسلح» .. وهم على حالهم فى استضعافهن .. ولا يلقون بالاً لتمردهن المكبوت .. ويغـالون فى إغـاظتـهن .. بما يملكون من حق الطلاق .. وحق الزواج الثانى.. والثالث ..!!

وتبقى القضية .. منذ أن خلق الله الأرض .. إلى يوم يبعثون .. بلا حكم قاطع .. مادام الحكَم لا يملك أن يدخل البيوت .. أو يغّير النفوس !!

* * *

لكننا نملك شيئاً آخر .. عساه «سنة حسنة» .. نملك ما يمكن أن نسميه «صحوة المكاشفة» .. نملك أن نكاشف بازدرائنا .. من ينسج الظلم لباساً .. لايناسب إلا حليلته .. ونكاشف بتسفيهنا .. من تستكين انتظاراً لعدل .. قد لايجئ .. نملك أن نحقر من يرى زوجته .. أضعف من أن «تُستمنح» حقاً .. ونلوم من ترى أن ظل رجل «ظالم» .. خير من ظل حائط «حنون» !!!

* * *

لتكن صحوة مكاشفة .. نصارح فيها أولئك العاقين .. المتباهين بعنجهيتهم فى منازلهم .. بأننا نعرف أن قامتهم لا تطول إلا هناك .. وأن «عنتريتهم» المدعاة .. ليست سوى «جعجعة .. دون طحن» .. وأن شاعرنا قد كتب لهم «أسدُ علىّ .. وفى الحروب نعامة» .. فلنكاشفهم .. علّ مكاشفتنا لهم .. ترد عليهم .. ناقتهم التى شردت .. وعليها ميراث قيمنا وأخلاقنا وتقاليدنا !!

ولنكاشفهن .. بأن المذلة ليست «حُسن تبعل» .. وأن الرضا بالواقع المؤلم

.. «قناعة» من نوع حقير .. وأن فرعون ما كان .. إلا لأن أحداً لم يتصد لمحاولاته الأولى !!!

فلنكاشف الجميع .. حتى تتحقق لنا «اليوتوبيا» المنشودة .. التى ليس على أرضها «عاق» .. ولاتحت سمائها .. «مقهورة» !!

بصمة

بين الحقوق .. والعقوق .. امرأة ضعيفة !!

كــلام عيــال

منذ أفاق من قيلولته ظهيرة ذلك اليوم ، وجدران المنزل لم تتوقف لحظة عن الاهتزاز – على وقع صوته الذى ارتفعت عقيرته بالزمجرة والهدير – مسجلة درجة متقدمة على مقياس ريختر الذى يحمله أبناؤه فى مكان ما فى اللاشعور . وأمامه وقفت زوجته جامدة منعقدة اللسان ، تنقل عينيها بين ملامحه المخيفة – والتى يخيل إليها الآن أنها لم تعرف صاحبها يوما ما – وملامح ولديها المنزويين فى الركن القلق من الغرفة ، متدثرين برعب قاتل .

ارتدى ملابسه على عجل ، وصفق الباب خلفه بعد أن هدد بالثبور وعظائم الأمور ، وظلت هى محملقة فى الباب المغلق ، إلى أن أفاقتها لسعة دمعاتها الملتهبة غيظاً ، عندما سقطت على ظهر يدها المتعلقة بعنقها ، لتمنع غصة تكاد تخنقها .

استدارت – متعثرة فى خطاها – نحو مكان التليفون ، وضغطت أزراره بأرقام من سطح ذاكرتها ، وقبل أن يرد الطرف الآخر ، طلبت من ابنها وابنتها – فى هدوء مفتعل – أن يدخلا غرفتهما . دلف الاثنان إلى الممر المؤدى إلى غرفتهما ، ثم تثاقلت خطواتهما عن عمد ، ليتناهى لمسامعهما صوتها يستجير بجدتهما أن تأتى على عجل ، لتضع نهاية لما هى فيه من عذاب ، فقد تغير حال زوجها تماما ، ولم يعد يعجبه شكلها أو سلوكها أو بيتها ، وصارت لحظات وجوده فى المنزل معدودة ، يملؤها بما انضم إلى قاموسه حديثاً من مفردات سوقية وشتائم ، تستحيى من نظرات ابنيها المستفسرة عن معناها .

حملتهما خطواتهما على عجل إلى غرفتهما ، قبل أن تنتبه أمهما لوجودهما فى حالة تنصت .. أغلقا الباب وجلسا متقابلين ، الولد ذو السنوات الثمان ، والبنت التى أطفأت شمعتها السادسة منذ أيام ، يلفهما صمت متوتر ، قطعته البنت بنحيب متقطع ، تتخلله عبارات متشنجة تتساءل عن أسباب التغير الذى طرأ على أبيها ، والبكاء المستمر لأمها ، ومدى احتمالية طلاقهما - مثلما شاهدا فى تمثيلية تليفزيونية - ومع من يعيشان عندئذ !!.. والولد يقاطعها بنبرة الواعى ، بأنها أصغر من أن تفهم ، وأن الأمر يتعلق بامرأة أخرى سيتزوجها ، وأنه لابد من أن يتدخل لأنه رجل البيت !! انتزعت أخته ضحكة من بين دموعها العالقة فى عينيها وراقبت يديه وهى تمتد إلى أحد دفاتره لتأخذ من الوسط ورقتين ، عندها نظرت إليه نظرة تنم عن تلاقى الفكرة فى عقليهما الصغيرين ، فانطلقت يداها هى الأخرى داخل حقيبتها تفتش عن قلمها الصغير ، وخطا معاً رسالة إلى الأب وطوياها ، وجلسا ينتظران عودته مغالبين النعاس بإرادة يفتقدانها فى الأغلب أيام الامتحانات .

عندما أدار المفتاح فى الباب ، فوجئ بهما يجلسان على أقرب المقاعد للباب ، فتح فمه لينهرهما - كعادته فى الأيام الأخيرة - ولكن هذه المرة ، على سهرهما حتى هذا الوقت المتأخر .. لمح اليد المرتعشة لصغيرته تمتد بوريقة مطوية ، استمر فمه مفتوحاً - ولكن من فرط الدهشة - التهمت عيناه سطورها : «والدنا الغالى / (احنا خايفين منك يابابا ، علشان أنت بتزعق كتير ومش بتحب ماما ، وهاتطلقها وتتجوز واحدة ثانية ، واحنا بنحبك أنت وماما وعايزين نعيش معاكم انتو الاثنين ، فإذا كنت مش بتحبنا وعايز تطلق ماما وتتركنا .. لو سمحت «رجعنا فى بطن ماما تانى» ، علشان...)

لم يكمل القراءة وأطرق ساهماً إلى الأرض ، ثم تهاوى إلى أول مقعد غارقاً فى عرقه وخجله ، وتفكر قليلاً ثم فتح ذراعيه ليحتضنهما ، وقام ثلاثتهم بخطى مترددة نحو مخدع الزوجة ، التى كانت محملقة فى سقف الغرفة ، تتابع تراقص أشعة المصباح المنكسرة عبر دموعها ، اقترب منها وبيديه صغيراه ، وطبع قبلة ندم على جبينها الدافئ ، وقفز الصغيران بقبلتيهما إلى كل خد من خديها ، وانطلق جميعهم فى ضحك كالبكاء ، أو بكاء بدموع الفرح والندم .. وأشياء أخرى قرأها فى عينيها .. وقرأتها فى عينيه ، أما عيون صغيريهما فلم ينجحا حتى تلك اللحظة فى ترجمة أبجديتها البليغة.

بسمة

أحلم بمدرسة لتعليم الآباء كيف يقرءون عيون أطفالهم ، لحظات عجز الكلام .. مجرد حلم !!

المقعد الشاغر

تحلقت الأم وأطفالها حول مائدة إفطار اليوم الأخير من رمضان ، المائدة التى مضى عليها الشهر الكريم – إلا أياما معدودات – كسيرة الجناح ، مائلة الحال ، خالية . من أشهى أطباقها ، لغياب صاحب الكرسى المنتصب عند رأس المائدة يشكو خلوه من صاحبه .

اختلست الأم نظرة عاتبة نحو الصورة الساكنة – بلا روح – فوق الحائط المقابل حيث يبدو صاحبها شامخاً ، يشع من عينيه بريق ، انطفأ وما عاد .. ثم ارتد بصرها – وهو حسير – إلى المقعد الشاغر عن يمينها ، وانسالت دمعة – لفظتها عيناها تمرداً على لحظة الضعف التى أصابتها فأدركتها قبل أن يلمحها أطفالها ، بيدها المرمرية البيضاء ، ثم التفتت نحوهم قائلة : كل عام وأنت طيبون وبخير يا أبنائى .. وعساكم من عوّاده .

انبرى أكبر أبنائها – كعادته فى التسرع قبل التفكر – وقال لها : وأنت بخير يا أبى ..!!! تلجلج وتلعثم وارتبك ، واستحت الكلمات على شفتيه .. ثم استجمع بقية جرأته المتسرعة وأردف : عفواً أقصد وأنت بخير يا أمى .. ثم نظر نحو أخويه اللذين كانا شاخصين ببصريهما نحوه يرصدان رد فعله على زلة لسانه الهوجاء ، فزجرهما بعينيه متوعداً إياهما بكلمات صامتة قالتها عيونه المتنمرة ، وقطعتها الأم بكلمات مرتعشة ، اجتهدت أن تبدو واثقة :

أبوكم يا أبنائى رجل أعمال له شركات ومؤسسات عديدة ، وهو دائماً

مشغول بأعماله ، مما يضطره للسفر كثيراً لكى يتابع هذه الأعمال ، وينهى ارتباطاته .. وبالتأكيد فإنه يعمل كل هذا من أجلكم ومن أجل مستقبلكم ، وأنا لا أقصر معكم يا أولادى .. فقد أحضرت لكم بالأمس الملابس الجديدة للعيد ، وأعددت لكم اليوم أكلات العيد المحببة ، وسأخرج بصحبتكم صباح الغد إلى الحدائق حيث ستقضون يوماً سعيداً بين لعبكم المفضلة ، وفى المساء سنزور بعض أقاربنا ، وستلهون مع أبنائهم وسيكون عيداً سعيداً إن شاء الله .. فقولوا لى .. لو أن أباكم كان حاضراً هذا العيد معكم ، فماذا كان سيفعل أكثر من ذلك ؟!!

بفعل ضربة تحثه على الكلام ، تلقاها من أسفل المائدة من أحد أخويه ، انفكت عقدة لسان أصغر الأبناء ، صاحب اللثغة التى تجعل لكلامه مذاقاً خاصاً ، وقال : يا أمى ربنا يطول عمرك ، لكن فى غيابْ أبينا ، نصبح مثل الأيتام ، وبدون أبى لا طعم «للملابث الجديدة» ولا للنزهة يجى كل عيد علينا .. وأبونا دايماً (مثافر) .

التقط الأخ الأوسط خيط الحديث وأكمل : ثم إن البنوك والمؤسسات والشركات كلها لا تعمل فى أيام العيد يا أمى ، فمع من ينهى أبى أعماله ويتابع أشغاله ؟ لقد قال لى خالى إن أبى قد سافر مع بعض أصدقائه لقضاء عطلة العيد فى بلد لا أذكر اسمه ، وليس عدلاً أن يستمتع أبى بالعيد مع أصحابه ويتركنا لتعاسة الإحساس المرير بغيابه .

احتارت الأم بماذا تجيب عن أسئلة هؤلاء الأبناء الذين خلعت عليهم الطلاقة ثوبها فجأة !! ماذا تقول لهم ؟، ألا يكفيها ما هى فيه من إحساس قاتل بالوحدة ، وعذابات غياب الأنيس الجليس ؟ أكان الأمر ينقصكم يا أبنائى لتنثروا على الجرح البارد ملحكم الأجاج ؟

ماذا أقول لكم ؟ أأقول إن معكم كل الحق فيما تقولون ، وإن أباكم قد خلع رداء المسئولية من زمن ، وإننى أحاول لملمة ما بعثره غياب الراعى ؟ أأقول لهم إنكم حقاً كالأيتام الذين تفتقدون دفء الأبوة فى شتاء طفولتكم الغضة ؟ أيحتاج هؤلاء الأطفال الآن إلى المال الذى يغيّب أباهم ، أم لأبيهم الذى غيبه المال ؟ أأقول : إننى أكثر يتماً منهم بغيابه ، وأكثر انكساراً من رجل فقد وطنه ؟ ، فأنا وطن فقد رجله ، ما أتعس وطنا بلا رجل ، ما أخوف قطيعا بلا راع ..

قامت بخطى باكية نحو جهاز التليفزيون تديره ، علّ بسمة يبثها تنتزعهم من دوامة الكآبة التى احتوت جميعهم ، وفى آذانها رنت أبيات شعر حفظتها وقت أن كانت نهمة للقراءة ، ولم تكن تدرى أنها ستنعى بها حالها وحال أولادها يوما ما ..

ليس اليتيم من انتهى أبواه — من هم الحياة وخلفاه ذليلاً
إن اليتيم هو الذى تلقى له — أماً تخلت أو أبا مشغولاً

عيدٌ ... بأية حال عدت يا عيد ، وهل للعيد رونق بدونك يا أبا أولادى؟، فهلا أتيت لتروى زرعك ، وتتعهد نبتاتك .. أم سيأتى العيد المقبل ومازالت فى النفس حاجات إليك لا تجد إلا صداها ، ومازالت صورتك مكانها على الحائط تأبى أن تنزل من عليائها البغيض إلى أرضها العطشى .. ماذا أقول ؟.. عسانا أنا وأولادى – من عوّاد العيد .. والعائد !!

بصمة

الأبوة شرف .. «يرفعه» البعض - فوق رأسه - امتناناً ، و «يدفعه» البعض الآخر بقدميه - بطراً .

استهلال

الصوت :

تتدثر – تحت ردائكِ – نسمات الفجر

يسكنك الصبح ...

تتفيأ – فى ظل نسيمك – شمس الظهر

يتطهر – فى ماء وضوئك – ماء النهر

تغتسل بدمعك – آن يسيل خشوعاً – كل ذنوب الدهر .

ترمى نظرتكِ الحانية ، فينبت جسدى .. يتمايل .. يطرح زهر

ينتحر أمامك – كمداً – شر الحاسد ... يقتله القهر

أسكن من قَبلُ القبل قبالة قلبك ..

أتشهى كل صباح .. صبحكِ

أستأمن كل مساءٍ .. ليلك

أستعذب .. أستمرئ .. أستهوي طهركِ

وأردد دوماً .. دوماً ...

« ما أجمل أن ترعاك امرأة .. تعرف كيف يكون الطهر »

* * *

الصدى :

قلبى مرمى كلماتك .. يا واحد قلبى ..
ذاكرتى مستودع حرفك .. يا حرفى الأوحد ...
المتعملق فيَّ .. لينطق قولاً .. شعراً ..

....

يُشرق قرص الشمس بعينى .. عيناى فداكَ .. يغرب فى عينيكَ ..
ينبئنى بقدوم الليل المسكون بهدأة قلبكَ ..
بضياء هداكَ ..

يداك «المتصرفة بشأن عيونى» .. تعرك عينى ..
تُطلع منها الصبح الساكن فى جوفى ... ينتظر يديكَ
غيابكَ يئد اللحن «الأيتم» فيَّ ..
لا يعرف كيف «يضبط» أوتار اللحن النائم فى عينى - يالحنى - إلاكَ
طهرى يتطهر فيكَ .. يترعرع فى كنف عفافكَ ..
يصدح .. يصرخ همساً .. يستلهم أصوات صداكَ ، ويردد ..
« ما أجمل أن ترعى امرأة رجلاً .. تتعلم منه الطهر » .

بصمة

«ما أبلغ أن تأتلف الكلمات لتصوغ الحب .. شعراً» ..

ألف نهار .. ونهار

بعدما انتهى مؤلف المجلد القصصى الأشهر «ألف ليلة .. وليلة» ، من وضع نقطة النهاية وراء آخر خيط أسود فى الليلة الأولى بعد الألف ، لم يجد ثوباً شائقا يُلبسه لقصصه ، ليضفى عليها اللمسة الاحترافية ، سوى أن يضع هذه القصص على لسان امرأة ، كان من «سوء طالعها» أن تكون إحدى جوارى ملك مريض بداء قتل جواريه بعد أن يقضى مع كل منهن ليلته ، وكان من «حسن داخلها» أن تكون من الذكاء والفطنة ، بحيث تتمكن من أن تؤنس نفسه الملولة ، بتلك القصص المثيرة ، والممتدة – ما أمكن – لتؤجل عمل السيَاف ليلة بعد ليلة ، بحيلة التوقف عن الكلام المباح ، مع صياح الديكة كل صباح ، على أن تكمل ما توقفت عنده ، فى الليلة التالية .. وكل ليلة.

فلما كان نهار اليوم الثانى بعد الألف ، اجتمعت النسوة فى مكان ما من مدينة الألف .. ليلة ، ليتدارسن ذلك العمل البطولى الفذ الذى قامت به واحدة من بنات جنسهن ، والذى استطاعت معه أن تروض مليكها وأن تكتشف مستعمرة الأطفال داخله وتخاطبهم بحكاياتها ، وبعد انتهاء المداولات والمداخلات – التى كان يتخللها بين الحين والحين بعض الزغاريد – خرجن من هذا الاجتماع بورقة عمل تاريخية ، شملت عدداً من التوصيات ، قررن توزيعها على أرحام الأمهات – فى كل زمان ومكان– لتسليم نسخة منها لكل جنين «أنثي» قبل أن ترى النور ، على أن تحفظها وتمارس تنفيذ ما جاء فيها عندما تلتقى برجلها الموعود !!

وقد تمكن كاتب هذه السطور ، من الحصول لكم - إخوانى الرجال - على نسخة من ورقة العمل هذه «وأرجو ألا يسألنى أحد كيف ؟ ولكن - ولإشباع فضولكم - بإمكانكم أن تربطوا بين حصولى عليها ، وبين استقبال أسرتى لمولودتين توأم «إناث» منذ أسابيع ..!!»

وسألخص لكم ما جاء فى هذه الورقة من توصيات لكى نتمكن نحن الرجال من الاجتماع على قلب رجل واحد - لاقدر الله - ونعد ورقة عمل مضادة ربما تعيننا على معايشتهن :

* اجعلى عينيك دائماً على الطفل الساكن بداخله ، واستقطبيه بكل الطرق التى يستقطب بها الأطفال بدءاً من « الحدوتة » .. وانتهاء بقطعة الشيكولاته « أو أى شئ له علاقة بمعدته » !.

* حاذرى من أن تكونى كتاباً مفتوحاً أمامه يستطيع أن يتوقع محتوى الصفحات التالية منه ، فإن تمكن بعبقريته من معرفة الخطوة التالية ، فسارعى إلى تغيير الأحداث لتخالف توقعاته ، وتحفظ لك ولحياتك معه عنصر التشويق !!

* عندما تختلفين معه فى موضوع ما ويكون متمكنا ومقتنعا به ، انقلى النقاش إلى ملعب آخر تجيدين المحاورة فيه ، وذلك باختيار أضعف النقاط فى موضوعه واعتبارها نقطة الخلاف الحقيقية !!

* لا تهتزى عندما يهدد ويتوعد ، واحتفظى بهدوئك لتعرفى موطئ قدمك التالية ، فهدوؤك سيجعله يعتقد أن تهديده غير ذى جدوى لديك ، فيتراجع عنه ويبحث عن أسلوب آخر للضغط !!

* لا تعيرّيه بماضيه المتواضع - الوظيفى أو العائلى - ودعى لبلاهته

شرف الاعتراف ، وسيفعلها بمحض إرادته ، وساعتها عليك بالإشادة بعصاميته المتفردة ، التى لا يذكرها أحد .. لعدم وجودها أصلاً !! وتذكرى أن المتغابى هو سيد قومه .. وليس الذكى !!

* غيرتك من امرأة أخرى أمامه تفتح عينيه على ما خفى من أمرها ، فعليك بالتجاهل – بوعى – ثم تقليد مواطن حسنها فيما بعد ، فإذا فطن لذلك ، فإياك والاعتراف ، وأنكرى أنك لاحظت شيئا فيها مما يقوله ، ومن دون أن تختمى بالعبارة العبيطة «هى مين دى .. اللى أنا ها أغير منها؟..!» .

* اختارى الموعد المناسب لمطالبك ، ولا تضيعى هباء ما وهبك الله من قدرات الأنثى ، وتذكرى أن معظم رفض الأزواج لمطالب زوجاتهم لا يكون للموضوع ، بقدر ما يكون للتوقيت الذى تناقش فيه هذه المطالب .

* استشيريه فى الأمور التى قررت فيها سلفاً أمرك ، ولا تنسى ادعاء الجهل والبحث عن المشورة عند أهلها – وهو خير أهلها بالطبع !!! وسينتهى رأيه بالتأكيد إلى ما استقر عليه رأيك دون جهد منك ، وهذا الأسلوب هو أحد أسلحة «الكيد» السلمى للنساء ...

إخوانى الرجال :

بعد أن أدركتم «التاريخ العريق» الذى يقف وراء ما نحن فيه من معاناة ، لا أملك إلا أن أنصح بأن يتطوع أحدنا لكتابة مجلد قصصى بديل بعنوان «ألف نهار .. ونهار» ، نفرغ فيه أحقادنا عليهن ، وضعفنا حيالهن ، ونتعلم منه كيف نروضهن – إن كان إلى ذلك سبيل !

كما أنصح بتفتيش كل مولودة أنثى ، لتجريدها من ورقة العمل هذه قبل أن تكبر وتتعلم اللغة التى تقرأ بها هذه التوصيات ، علنا نئد الخطر فى مهده

أو فى مهدها !!

وإلى ذلك الحين .. وكل حين .. ندعو الله أن يحفظنا من زوجاتنا ، أما أعداؤنا فنحن كفيلون بهم !!!

بصمة

من مذكرات زوجة «مفلسة» : الإضافة إلي حساب امرأة أخري أمام زوجك .. هو بالضرورة «خصم من رصيدك» لديه .

فلسفة الصمت !

الخرس المنزلى الذى يصيب كثيراً من الأزواج فى حضرة زوجاتهم ، تقف وراءه فلسفة جد رائعة ، أروع ما فيها أنها «فضفاضة» يستطيع كل رجل صامت أن يجد فيها «مقاسه» ويستخرج من بين سطورها تبريراً مقنعاً لذلك «الصمت الرهيب» الذى يتوج به رجولته ، التى يراها – عندئذ– غنية بما يخلعه عليها من «ذهب السكوت» .

وقبل أن ينطلق قلمى نحو غايته فى هذا المقال ، أنوه بأننى استثنيت – ليس سهواً – أخواتنا النساء من عاهة الخرس هذه ، لأنهن لا يعرفن الامتناع عن الكلام – للأسف – إلا أسبوعاً واحداً فى العمر ، هو الأسبوع الأول من الزواج ، ويعلم الله كم يعانين فى هذا الأسبوع الطويل ، ثم قبل وبعد ذلك لا يجد الصمت طريقاً إلى ألسنتهن السائبة ، إلا فقط أثناء النوم – أطال الله نومهن !! والحقيقة أنهن معذورات ، فالثابت علمياً أنه كلما زاد السلوك الحركى لدى الفرد قلّ السلوك اللغوى، والثابت أيضاً أن ثقافتنا العربية لا تسمح للفتاة فى طفولتها بأنشطة الحركة وتفاعلات القفز والجرى «والتنطيط» – مثلما تسمح للذكور – مما يجعل الكلام و «الرغى» هو السبيل الوحيد أمامها لتفريغ طاقتها ، حتى أنها إذا لم تجد من تحكى له خاطبت «دميتها» «طفلة» ، أو خاطبت نفسها «بالغة» أو أدمنت التليفون والنميمة «زوجة» !!

نعود إلى فلسفة الرجل الفضفاضة فى الصمت ، لنقلب بين صفحاتها

بحثاً عن أشكال التبرير التى يتشدق بها الخرسان ، فى اللحظات القليلة التى يتكلمون فيها !!

النوع الأول : منهم يعتنق من هذه الفلسفة ، المقولة غير الرائجة «خشيته .. حتى تكلم !!» حيث يؤمنون بأنك مادمت صامتاً فإن الآخر - أقصد الأخرى - تخشاك ، وأن هذه الخشية والرهبة تزول - حتماً - إذا نطقت ، حيث شتان بين ما يخبر به صمتك من اتزان وتعقل ، وما يكشف عنه كلامك من سفه وجهل !!

النوع الثانى : يرى أن «مقتل الرجل بين فكيه» كما يقول العرب ، وأن زلة لسان واحدة كفيلة بكشف أسرار عقله الباطن والتى يحرص - أيما الحرص - على أن تكون زوجته آخر من يعلم بها .. بعد موته !! وأن كل الأسئلة التى توجهها له زوجته مهما بلغت من السطحية ، فإنها تتطلب التريث والتفكير جيداً قبل الإجابة ، والأفضل أن ينتهى زمن الامتحان من دون إجابة أو أن يملّ صاحب السؤال أيهما أقرب ! وتلك هى طريقة التهرب الفكرى لدى الرجال من ذوى «الفكوك المغلقة» . فإذا ما واجهته بأن هذا الأسلوب يؤكد أنه «جبان» يخشاها ، نطق أخيراً - آخذا من الفلسفة نفسها آنفة الذكر : ومن قال لك : إننى لم أجب عن أسئلتها ، ألا تعلم أنه ربما كان السكوت جواباً ؟!! وليته ظل صامتاً ولم ينطق ، فقد استدل - فى غير موضعه - بما لا يؤخذ به إلا عند نكاح البكر ، حيث صمت البكر - فقهاً - موافقة أو جواب ، لحديثه ﷺ «**البكر تستأذن ، وأذنها صماتها** »[1] ، ومنه أخذ أهل العامية «السكوت علامة الرضا» ،

(١) رواه الترمذى فى السنن (باب ما جاء فى استئمار البكر والثيب) مج (٢) برقم (١١٤) (ط ـ دار الفكر ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م) .

ونسى عاميونا أن يكملوا أن «السكوت هو علامة الرضا .. بالجهل» !!

النوع الثالث : بلغ بهم التدين مبلغاً ، فهم لا ينفكون يذكرونك بحديث الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل «... **وهل يكب الناس على وجوههم فى النار إلاّ حصائد ألسنتهم**»(١) ، فهم صامتون استمساكاً بالنجاة من النار، جاهلون بأن ما يكب الناس فى النار هو حصاد لسان الفتنة والنميمة ورمى المحصنات وقول الزور واليمين الغَموس .. وكل ما فيه خوض فيما حرّم الله من فاحش القول ، وليته ذكر لنا – ولنفسه – أن «الساكت عن الحق شيطان أخرس» ، وأن «خير الجهاد .. قول حق عند سلطان جائر» ، وأن ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣] وأن.. وأن، وأن كل ذلك يقتضى الكلام لا الصمت المزرى ، بصاحبه وبموضوع الكلام !! خاصة إذا كان طرف الكلام «زوجة» لها حقها فى الكلمة الطيبة .. المأجور عنها .

أطرف ما قرأت فى السكوت ، قول ميخائيل نعيمة «إذا كان السكوت من ذهب .. فما أغنى الخرسان» !! وأطرف ما أعرف عن أبناء جنسى من الصامتين فى منازلهم ، أن جلساءهم ومستمعيهم – خارج المنزل – يعانون من كثرة «رغيهم» ، وأن أركان فلسفة الصمت تنهار عندما يكون الحديث إلى امرأة أخرى !!

ترى هل كان الرجل «حيواناً ناطقاً» قبل الزواج ، ثم حولته زوجته بعد الزواج إلى «حيوان فقط» ، سواء «بقوتها» التى تجعله يتدثر بصمته عجزاً ، أو «بضعفها» الذى يشجعه على تجاهله لها بصمته ، أو «بجهلها» الذى

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣١/٥، ٢٣٧) والترمذى كتاب الإيمان برقم (٨) ، وابن ماجه ـ كتاب الفتن برقم (١٢) .

يجعله يوفر كلامه الذى لا يجدى مع حالتها المستعصية ، أو «بذكائها» الذى تطعن به قدراته المتواضعة فيهرب إلى أمان صمته ، أو .. أو ؟!!

لا خلاف على أن المرأة «الطائعة الذكية الجميلة» هى حسنة الدنيا ، وهى أحق الناس بشكر النعمة – بعد واهبها – ولها قال .. وكتب .. الرجل .. نثراً .. وشعراً .

فى كل يوم أحـس أنك أقـرب حتى أن نفسى من نفسها تتعجب
يسكن الشعر فى حدائق عينيك فلـولا عيناك لا شعـر يكـتب

بصمة

لكى تتمكن المرأة من «إخراج» زوجها عن صمته، عليها أن تدرس فن «الإخراج» في أحد المعاهد المعترف بها .. فإخراجه فن .. لا تستطيعه «الجاهلات» !!

الجوع كافر .. للرجال فقط

قبيل موعد صلاة العصر بقليل ، أفقت بالكاد من قيلولتى الجائعة ، وأرهفت الشم ، فتناهت لأنفى رائحة طعام هاربة من وهج النار إلى برد حجرتى المكيفة ، فاهتاجت أحشائى النائمة ، وتململت تلوم من أيقظها قبل دخول الوقت ، فقمت - عوناً لها - أغلق باب حجرتى ، لأذهب ما عكر صفو معدتى وصفوى ، وناديت زوجتى من خلف الباب المغلق - ومازال فى جو الحجرة أثر من نفح شوائها - مسترحماً إياها أن تغلق على نفسها باب مطبخها العامر ، حتى لا تفسد علىّ يوم صومى بما ترسله - أغلب الظن عامدة - من روائح طعامها الشهى ، كأحد مفردات إعلانها عن قدراتها المتعددة ، والتى لا تدانيها فيها امرأة أخرى .

استلقيت - كبيت منهار - على أقرب أريكة ، انتظاراً لرفع أذان صلاة العصر ، ورحت أفكر فى الأمر الذى غاب عنا دائماً .. أو غيبناه نحن الرجال مغرضين :

ما حال المرأة التى تقف الآن وسط لذيذ الطعام والشراب ، ليكون طعام إفطارنا جاهزاً فى حينه غير منقوص ، وليس لها دون ذلك مفر؟ ، أليست صائمة ؟ ألا تتأذى برائحة الطعام ، مثلما نتأذى نحن الرجال ؟ أم أن عبارة «الجوع كافر» قاصرة علينا نحن معشر القوامين ؟

حاورتنى نفسى .. أقصد الجماعة المتنازعة من الأنفس داخلى .. واجتهدت فى أن أدير الحديث بينهم بنظام ، فهم من فرط حماسة كل

منهم لرأيه أعصى من أن ينتظموا ، وقواى من فرط صيامى أعجز من تنظيم متنازعين ، لكننى بصفاء عقل الصائم أفلحت ..

انتزعت نفسى «الأمارة بالسوء» الكلمة وقالت : ماذا دهاك يا رجل ؟ ما هذا الضعف الذى أصابك ؟ ألست رجلاً وهى امرأة ؟ ألست قواماً بما فضلك الله عليها فى أمور وفضلها فى أمور ، وبما أنفقت ؟ إنك تخرج فى البكور لعملك ورزقهم ، وهى قد تظل فى فراشها حتى ينتصف النهار ثم إن هذا هو عملها - مثله كمثل الحمل والولادة - لا ترضى السوية منهن أن يشاركها فيه أحد ، لقد خُلقت لهذا ، و «كل ميسر لما خلق له» ، فدع عنك هذا التفكير الأخرق ، وكونها تتأذى أو لا تتأذى فهذا ليس شأنك ، المهم أن تقضى صيامك بعيداً عما يعكر صفوه ، وأن تجد - حال فطورك - طعامكِ الشهى دون قصور أو تقصير ، ولا تنسى أن تدعو الله أن يجعله صياماً مقبولاً «لك» .

على استحياء ، همست نفسى «اللوامة» : يا أخى اتق الله فى زوجك ، إنها إنسانة مثلك ، وكونها امرأة لا ينفى عنها أنها تشعر وتحس وتعانى من صومها وما يعكر صفوه من رائحة طعام أو قول عنه ، إنك لا تقوى على متابعة برنامج عن «طبق اليوم» وأنت صائم ، فما بالك بمن تعده ؟ الله .. الله فى أهلك يا رجل ، وإن كنت لابد فاعلاً -ولا مفر - فلا تنكر جهدها ولا تتجاهل .. معاناتها ، وادع الله لها ساعة إجابة تتحينها - أن يعينها على صيامها وإفطاركم .. وإن كان الصوم قد رقق قلبك حيال فقراء المسلمين - بعلمك بمعاناة جوعهم - وحيال زوجتك بعلمك بمعاناة صومها ، فلتطلب منها أن تسمح لك بأن تعد أنت الطعام يوماً وهى يوم ، فكلاكما صائم ، ولا عدل فى أن يصوم نائم فى سريره ، ويصوم قائم فى مطبخه ،

ويكون الأجر سواء .. فتخلّ يا أخى الرجل عن عنجهيتك ، وابحث عن «القوامة» فى أمر آخر غير هذا التسلط والعسف ، فهذا ليس من الدين أو الصوم فى شئ ، ألم يكن الرسول الكريم ﷺ يعين زوجته فى عمل البيت ويقول : «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى** »[1].

انتظرت نفسى «المطمئنة» حتى انتهيا من حديثهما وأدلت بدلوها المطمئن : أنا لست مع رأى كليكما ، فكلاكما جار على طرف ، وأحسب أن لى رأياً لا يخلو من وجاهة ، يفض منازعتكما ، ويحفظ لصاحبى القضية حقوقهما .. وصومهما .. الرأى عندى أن تعد الزوجة قبل الإفطار ، ما لذ وطاب من الحلوى والعصائر والفاكهة والتمر والبن ، وهذه يكفى لإعدادها أقل من ساعة قبل الإفطار ، تتناولها الأسرة .. وأظنها تكفى وتزيد ، ثم تقوم لصلاة المغرب ومن ثم سمر القهوة والشاى ، على أن تمتد المائدة العامرة بخيرات الله من اللحوم والدجاج والأرز والخضراوات والمشهيات ، عقب صلاة التراويح ، حيث تكون الأم قد قامت بإعدادها بين السابعة والتاسعة ، وفى هذا راحة لها حيث تعدها بعد أن تنهى يوم صومها ، وراحة لكم حيث تمنحون معداتكم فرصة التقاط الأنفس بعد يوم صيام طويل وتمنعون عن أنفسكم وخم القيام المتثاقل إلى الصلاة بعد وجبة إفطار دسمة على معدة خاوية ، ولعلكم ...

أراح جمع الأنفس ، صوت المؤذن لصلاة العصر ، قائلا : الله أكبر ... الله أكبر فوق كل كبير تدعوه قدرته على ظلم الناس .. أحب الناس .. ولا يتذكر قدرة الخالق عليه ، فقمت - بين الأذان والإقامة - ومعى «النفس المطمئنة» و «النفس اللوامة» و «النفس الأمارة بالسوء» ندعو الله لها أن

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (١٩٧٧) .

يعينها على حسن تبعلها لزوجها .. وندعو الله لى ولكل زوج أن يزرع رحمته فى قلوبنا ، فلا تكون كالحجارة أو أشد قسوة !!

بصمة

من سخرية الحياة العصرية ، ألا يعمل فى مهنة طباخي الفنادق الكبرى والمطاعم الشهيرة .. إلا الرجال فقط .. ترى هل هذا هو أحد أوجه تشفى المرأة وانتقامها من عسف الرجل فى المنزل ؟

التفكير .. بالجسد!

كما أن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى ، فإن نعمة العقل إكليل يجمل رؤوس العقلاء ، ويفترض ألا يراه إلا الحمقى !! لكن.. ولأن الحمقى لا يجيدون التفكير بالعقل ، فإن نعمة العقل هى النعمة الوحيدة التى لا يراها أحد .. لامالكوها .. ولا فاقدوها !! برغم تشدقنا جميعاً – عقلاء وحمقى – بأننا نُعمل عقولنا فى كل شئ ، بينما الحق أننا «نستأجر» أجسادنا للتفكير «بالقطعة» ، لتنوب عن عقولنا التى «عقلناها» وكبلناها حتى لا تتصدى لأجسادنا «المفكرة» فتفسد عليها «التفكير الجسدى الهادر» الذى هو فى مقابل «التفكير العقلى الهادئ» !!

أقرب الأدلة الملموسة – والمتاحة فى هذه السطور القليلة – على أننا نفكر – فى الأغلب – بأجسادنا وليس بعقولنا ، هو أن تكاشفوا أنفسكم – أعزائى القراء – بنوعية السلوكيات التى تصدر عنكم .. ثم تتبعوا مصدرها لتعرفوا إن كانت قد صدرت عن العقل أو مرت به ، أم أنها لم تعرف طريقه يوماً ما !!

فالجسد ينزع دوماً إلى تحقيق الشهوات – فهو وسيلتها وهى غايته – وبخاصة شهوتى الجوع والجنس ، بينما تقوم الحواس المختلفة بخدمة هاتين الشهوتين ، فنرى ونسمع ونلمس ونشم ونذوق كل ما يحركها !! بينما خلق الله العقل لتمر عليه كل من المثيرات التى تتلقاها الحواس المختلفة «فيعقلها» ، والاستجابات التى تصدر عن الأجساد «فيحجمها» ويخلصها مما

لا يتفق مع الدين والأخلاق والتقاليد والمنطق .. وكل ما ارتضيناه حكماً بيننا وبين سلوكياتنا !!

بهذا المنطق البسيط نستطيع أن نقرر بلا أدنى «تجمل أو كذب» .. أننا نلعب دوماً لعبة «التفكير بالجسد» ، ثم نجتهد – بعد حدوث الفعل لا قبله كما يجب أن يكون – فى أن نفلسف ما صدر عنا من سلوك جسدى لنقدم لأنفسنا «كذباً» وللآخرين «تجملاً» ما يبرر هذه السلوكيات ويثبت أننا قمنا بها عن تفكير عاقل لا عن رد فعل جسدى محض !!

إن معظم سلوكياتنا لا تخرج عن كونها «ردود أفعال» والقليل منها «أفعال» ، ويسهل علينا أن ندرج النوع الأول تحت مسمى التفكير بالجسد، فنحن «نغار» على زوجاتنا أو أزواجنا « وننفعل» إذا لم تتحقق مطالبنا ، و«نغضب» على أهل بيتنا إذا تأخر طعامنا ، «وننافس ونعادى» إذا حالت عقبات دون طموحاتنا ، و «نشتهى» ما بيد غيرنا إذا لم نكن نملكه .. ونحن نعلم علم اليقين أن الغيرة والانفعال والغضب والمنافسة والعداء كلها شهوات لا عقلانية «بهيمية» لو أنها مرت على العقل ما غضبنا لأننا مأمورون – عقلاً – ألا نغضب ، وما عادينا لأننا مطالبون – ديناً – بالتسامح ، ولا نافسنا «من دون شرف» لأن عقولنا تعرف أن من أخذ من أخيه حقاً من دون وجه ، فسيتبوأ مقعده من النار ، ولا مددنا أعيننا إلى ما متَع الله به غيرنا .. ولا .. ولا .. وهذا كله يعرفه العقل ، لكننا نفعله فى غفلة منه ، وبحضور كامل للجسد «وشهواته» ، ثم نفكر بعد ذلك بعقولنا لنبرر ونعلل ما فعلناه ، والذى لو فعله غيرنا لاعتلينا مقاعد الحكمة والعقل واتهمناه بالجرى وراء شهواته ، وأطلعناه على «القشة» التى فى عينيه دون أن ندرك أن فى عيوننا «خشبة» !!

أما الأفعال ، فبرغم الوقت المتاح لها للتفكير الهادئ ، فإن الغلبة – بعد التفكير العميق – تكون للفعل الذى يحقق المصلحة والفائدة والشهوة ، من دون النظر إلى ما يقع على الآخرين من ضرر أو يصيب قيمنا وتقاليدنا فى مقتل ، فمعظمنا – إلا من عصم ربى – لا يستطيع أن يقاوم القوة الشهوانية التى تحرك مصالحه وأغراضه الجسدية «العاقلة» ، أو التى يستميت لإقناعنا «بعقلانيتها» !!

ربما يكون من المجدى أن نجرب – كرهاً – ألا نفعل شيئاً إلا بعد تمرير الفعل على العقل أولا – لا بعد الفعل – ثم لا نمرر منه إلي «الخارج» إلا ما يسمح به العقل ، برغم علمنا بإمكانياته التى تتفاوت من شخص لآخر ، لكنها فى أسوأ الأحوال ستهذب السلوك لتجعله فى حال أفضل من السلوك الجسدى «الفج» الذى يساوينا بخلق الله الآخرين ، ممن لم يكرمهم بنعمة العقل ، وبالتالى لا ينتظرهم حساب ، تعلمون جميعكم «بعقولكم» أنه ينتظرنا ، وساعتها .. لن يفلح إلا أولو الألباب ، الذين ليس لأجسادهم عليهم أدلة إدانة تنطق بها يوم تنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

لا أعتقد أن هناك صعوبة فى وقف مهزلة «التصدى بالأجساد» لمتغيرات الحياة اليومية ، إلا لدى ذوى الأجساد التى تنزف عافية ، بينما العقول عطشى منها لقطرة !!

بصمة

تبادل المواقع بين الأجساد التى خلقت «للإذلال» ، والعقول التى خلقت «للتكريم» ليس فى صالح كليهما .. فانتبهوا يا أصحاب الأجساد الحمقاء !!

علاقات .. «كلينكس» !!

ليس غريباً أن تُلقى السلوكيات اليومية المتواترة بظلالها على المنظومة القيمية للفرد .. فتنال منها بالتغيير الذى ماكان ليحدث تحت وطأة أكثر برامج تعديل القيم براعة .. وليس شاذاً أن يكون مدخل البعض إلى تحطيم الموروث القيمى لشخص ما .. هو إغراءه على أداء سلوك ما بصورة يومية أو شبه يومية .. ثم يترك لهذا السلوك مهمة «ردم» ما كان يعتز به صاحبنا من أفكار أو معتقدات !!

فسندويتشات «الهامبورجر والشاورمة» مثلاً .. تقف متهمة وراء تفكك الالتحام الأسرى – الذى كان – حول مائدة الطعام وانتظار الفرد الغائب من الأسرة حتى يعود .. ولم يكن على الراغبين فى ضرب الترابط الأسرى فى المجتمعات العربية .. أن يدبّجوا مقالاتهم أو يدسوا أفكارهم .. فقط كان عليهم أن ينشروا نظام الوجبات السريعة فى الشوارع .. وبإغراء .. وبتواتر.. ليتحقق «التعزيز .. والتكرار» .. اللذان هما جناحا تعديل السلوك – ومن ثم تعديل الاتجاهات وتغيير معايير القيم – كما يرى علماء النفس السلوكيون!!

* * *

أنا شخصياً أرى أن أكثر مستحدثات العصر ضراوة وخطورة فى قدرتها على النيل من بعض ثوابت قيمنا .. هى تلك «المناديل» الورقية .. التى يطلق عليها اسم «كلينكس» .. وتوابعها من حفاضات الأطفال والنساء .. ذلك برغم إدراكى لصعوبة تصور القارئ للعلاقة بين قيمنا المهدرة .. وهذه

المدعوّة «الكلينكس» !! .. فالكثير منّا لا يمكنه أن ينكر الحاجة الماسة التى تلبيها له هذه الأوراق .. فى البيت والسيارة والمطبخ والمكتب والفنادق والمطاعم وغيرها .. بل وقد لا يمكنه تخيل الحياة بدونها: كأدوات نظافة .. و«شياكة» .. تغلغلت فى حياتنا بدءاً من موائد الطعام .. وحتى .. الحمّامات !!!

ببساطة .. كان الفرد منا فيما مضى – وقبل اختراع ذلك «الكلينكس» – يحمل معه منديله «القماشي» .. ليمسح به عرقه .. و «يتفل ويبصق» .. بداخله ، ويحمله داخل جيبه .. بكل «قذاراته» .. إلى أن يعود لبيته ، فإن كان عازباً .. قام بنفسه بتنظيف إفرازاته والتخلص منها بالغسيل .. من دون أن «يقرف» من نفسه أو مما أفرز !! .. وإن كان متزوجاً .. قامت زوجته نيابة عنه بهذه المهمة .. ليحدث ذلك التوحد الحميم بينهما .. التوحد الذى يحدث عندما تتقبله كإنسان .. لا .. كملاك .. عندما تقوم بتنظيف إفرازاته وكأنها تنظف ما يخصها .. وكأنهما «واحد» متوحد .. !!

أما .. أن نلقى بإفرازنا فى مناديل ورقية إلى حيث صناديق القمامة .. وكأننا نسارع بالتخلص من شئ يبعث على الاشمئزاز .. برغم أنه من داخلنا .. ثم تستمر هذه العادة اليومية .. إلى الحد الذى تنفصم فيه عُرى العلاقة بين سوءاتنا .. وبين حتمية أن نقوم نحن بتنظيفها وإبعاد خطر عدواها عن الآخرين .. بين أن نحمل فى جيوبنا «قذارتنا» إلى أن نعود لبيوتنا فننظف «دواخلنا» .. وبين أن نلقى بها إلى أيدى الآخرين .. لينظفوننا .. بين أن تقوم الأم بتنظيف ملابس طفلها الداخلية من دون استياء أو اشمئزاز .. وبين أن تمسك بـ «البامبرز» المتسخ بأطراف أصابعها – ويدها الأخرى على أنفها – لتلقيه بعيداً إلى حيث يقوم الآخرون – أو لا

يقومون – بحمل قذارات طفلها !!

الخطورة هنا .. أعزائى القراء .. أن القيم التى تتعلق بعلاقة الفرد بسوءاته.. وعلاقة الزوجة بسوءات زوجها .. وعلاقة الأم بسوءات أطفالها .. وعلاقة الفتاة بسوءاتها «الشهرية» .. هذه العلاقات التى قد ينظر إليها على أنها ليست ذات شأن .. فى نسج منظومة القيم الإنسانية .. هى بالتأكيد .. اللبنات الأولى لتكوين أحجار الزاوية فى تلك الأبنية التى مللنا من محاولة بنائها .. ومن دونها .. تستحيل الثقة فى سلامة الأبنية التى نسعى إلى السكن الآمن داخلها !! وبدون ترسيخ هذه العلاقات .. تهتز معايير القيم المستمدة منه أو التى ترفدها ..!!

* * *

لقد صارت علاقاتنا .. فى بيوتنا وأماكن عملنا .. وصداقاتنا .. علاقات تستحق أن يطلق عليها .. علاقات «كلينكس» .. علاقات ورقية .. لايحتمل فيها أحد أن ينظف «قذاراته» .. ولا يقبل الآخر أن يقوم عنه بهذه المهمة .. علاقات ..عمرها بقدر المسافة بيننا وبين أقرب «صندوق قمامة» .. علاقات واهية كنسيج الورق الهلامى .. ولسنا بحاجة بعد كل هذا التغلغل .. لذلك الإحساس اليومى الذى يلقى بظلاله على تفكيرنا واستمساكنا بقيمنا إلى من يبذل الجهد لإقناعنا بالتخلى عن التحامنا وتماسكنا حول علاقتنا التى كان لها شأنها .. فقد فعلت «حضارتهم» فينا فعلها .. وكدنا نكتب أفكارنا التقدمية .. «بدم الحيض .. على ورق المرحاض» .. كما قال الشاعر الراحل نجيب سرور !!

ولا تنسوا تلك الأزمات الجانبية المضحكة .. وشر البلية .. التى سببها سلوكنا «الكيلنكسى» هذا .. فالمأذون يشكو من صعوبة الحصول على

منديل «العريس» ليضعه فوق اليدين اللذين سيتعاهدان على وثيقة الزواج .. لأن العريس يقدم له بسذاجة .. منديلاً ورقياً .. ويفغر فاه دهشة عندما يسأله عن منديل قماشي لم يسمع عنه ذلك العريس .. «الكلينكسى» !!

والرجل لا يجد فى جيبه منديلاً قماشياً يصلح ضماداً لجرح طارئ .. فى حادث غير متوقع بعيداً عن العمران .. !

وحتى الحرف الأول من اسم المحبوب .. والذى كنا نطرزه على أطراف مناديلنا .. لا تحتمله مناديلنا الكلينكس الواهية .. وإن احتملته .. فربما نسينا وألقينا بالمنديل .. والحرف .. والمحبوب فى أقرب .. «مقلب زبالة» ..!!

بصمة

هل قرأتم أن هجوم «الغرب» الأول على إمبراطورية الصين العريقة .. بعد أن قرر اقتحام رواسخها .. كان أولاً .. بماكينات «الهامبورجر» وإعلانات «الكولا» !!

المحاكمـة

العارفون ببواطن الأمور - وما أكثرهم ، والعالمون بما خفى - وإن لم يعظم ، يرددون دوما أن الحياة الزوجية هى الملل والضجر بعينه ، وأن أعباءها ومسئولياتها أكبر من أن تحتمل ، وأنه ليس هناك أجمل ولا أحلى من «عيشة الحرية» .

وليتهم يحتفظون لأنفسهم بعلمهم هذا ، الذى لا يضر الجهل به ، لكنهم يأبون إلا أن يقدموه لمن يطلب نصحهم ، ولمن لا يطلب ، و دون مقابل .

ولأننا طرف فى القضية ، بحكم كوننا أصحاب حيوات زوجية ناجحة ، أو بحكم كوننا لانزال مترصدين على نواصى التجربة ، نترقب أى الفريقين أمضى حجة وأصوب رأيا .. وجب علينا أن نتحاور لنستقر على خيار .

ولأننا - بالتأكيد - قد مللنا «حوار الطرشان» ، وضقنا ذرعاً بالجدل على طريقة «تسفيه آراء الآخرين» فى غيابهم ، فلنتناقش علنا ، مبتدئين من حيث أرادونا أن ننتهى ، وليبعثوا حكما منهم وحكماً منا ، ولتكن أرض النزال هى عقر دار أفكارهم .. لعلنا .. أو لعلهم :

فى موعدهم جاءوا وجئنا ، واعتدل فى جلسته حكمنا وحكمهم ، وبدأت الوقائع تترى .. **قال قائلهم مستهلاً** : فى البدء أسائلكم ، أى جمال تدعونه فى حياة زوجية قوامها زوجة تراها كل يوم وكل ليلة ، من دون توقف الإرسال ولو لعطل فنى !! إنها تصبحك على ما تمسيها أنت فيه ،

وتعزف على أوتارك بليل ما تعكر به صفوك بنهار ، أى جمال تدعونه والوجه هو الوجه والطعام هو الطعام والجدران هى الجدران وحكايات المساء قد صارت خرساء ، إنه ملل مميت ليس هناك مبرر واحد لاحتماله ، فما قولكم فى هذا ؟

ويهب واحدنا ليترافع : إن ما تقوله هو حق يراد به باطل ، إن الإنسان لكى يحقق ذاته ويتميز فى حياته ، لابد له من إشباع عدد من الحاجات الإنسانية، وأهم هذه الحاجات هى الحاجة للانتماء ، إنها تلى مباشرة - كما يقول علماء النفس - الحاجة للطعام والشراب والحاجة للأمن ، إن الحاجة للانتماء هذه تعنى ببساطة وجود رفيق تفتقده ويفتقدك إذا غاب أحدكما ، وتعنى الإحساس بوجود آخرين تنتمى إليهم ويحتاجون إليك ، والزوجة والأبناء هم أكثر من ينتمى إليهم ، فالانتماء بهذا المعنى لا يكون إلا «لثوابت» ، وليس «لمتغيرات» وعلى ذلك فإذا كون الوجه هو الوجه والطعام هو الطعام والجدران هى الجدران، فهذه أمور يجب أن تحسب ، لصالح الحياة الزوجية، وليس ضدها ..

ويقاطعه أحدهم قائلا : إذا وافقناك على أن الانتماء لا يكون إلا لثوابت فمعنى هذا أنك ترفض التغيير الذى يجعل الحياة مشرقة ويكسر حدة الملل وهذا التغيير مفتقد فى الحياة الزوجية «الثابتة» !! **ويرد متحدثنا** : أوافقك أن على الزوجة أن تضفى لمسات من التغيير على جوانب حياتها لتجدد الدماء فى أوردة جنبات بيتها ، وأوافقك على أن محاذرة الملل الزوجى يحتم أن يعاد طرح كل قديم بصورة «جديدة» لكن كل ذلك يجب أن يتم فى إطار الأصل، لا يغير من الجوهر الذى يميز كل زوجة وكل علاقة ، وكل أسرة والذى يحفظ لها كينونتها «الخاصة» وملامحها المميزة التى لا يحدث

الانتمـاء إلا لهـا «كـثوابت» ثابتة، وعلى ذلك فإن الاستـقـرار الذى يميز العلاقة الزوجية ، إذا اكتنفه من بين يديه أو من خلفه تغيير «ساذج» لمجرد التغيير ، فإنه يفقد هذا الاستقرار أهم مقوماته وأهم خصائصه ولا يصبح عندها الزواج «سكناً» بالتعبير القرآنى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [الروم: ٢١] ، وهو من السكون والاستقرار كما ترى.

عند هذا الحد ، بدأ على وجوههم انكسار الخذلان ، وكادوا يحملون عصاهم ويغادرون أرض النزال غير غانمين ، إلا أن أحدهم قد استجمع بقية من جرأة غير محمودة **وقال** : وماذا عن مسئولية الزواج والزوجة وتحمل أعباء الأبناء ومسئوليتهم؟، أليس الأفضل أن نبتعد عن الزواج «ونغنى له» ؟، أظنها قضية لا تحتاج إلى نقاش ، تستحى الشمس من وضوحها ، فما قولكم ؟:

اتكأ كبيرنا على عصاه **وقال** : «ياولدى .. إن تحمل المسئولية أمر نتلقى أبجدياته فى الصغر على يد آبائنا ، ومن تربى على عدم الإحساس بالمسئولية، يصل إلى القناعات التى تحكيها أنت الآن . إن الفرد الذى نشأ فى أسرة يحرص عائلها على غرس هذا الإحساس فى نفوس أبنائه بالممارسة مرة وبالقدوة مرات ، يشب على حب المسئولية وكراهية العيش من دون وجود آخرين يتحمل أعباءهم ، ويتأثرون بغيابه ، ويستمتع بتعبه لراحتهم ، ويستلذ بإرجاء رغباته ليحقق رغباتهم .

ولذلك فإن الشخص الذى يبتعد عن الزواج ، هو شخص يعانى من نقص فى شخصيته نتج عن سوء فى تربيته ، وعليه أن يحاول جاهدا أن يصلح هذا الخلل ، وإلا فليحتفظ لنفسه بأفكاره «المريضة» إلى أن يشفيها الله .

عند هذا الحد وقر فى يقين محكمة الحكماء أن الفريق الأول ليس على

حق ، فأصدرت حكمها عليه بالزواج «المؤبد» مع الأشغال «المحببة» ، أو إيداعه مؤسسة تربوية علاجية لإعادة تربيته ، على أن يتحمل الفريق الثانى نفقات علاجه ، بصفتهم ممن أفاء الله عليهم بنعم الانتماء والإحساس بالمسئولية ، وهى نعم تستحق أن يخرجوا عنها زكاة ، على أن يذكروا الله صباح مساء بقولهم : «الحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به غيرنا» .

بصمة

وراء كل رجل عظيم امرأة أزاحت من طريقه أعباءً ، وقتلت من وراء ظهره مللاً ، وفرشت أمام أقدامه ورودا ، فتفرغ لكى يكون عظيما ، ثم قدم لها عظمته امتنانا .. وحباً .

فتش عن الرجل

«فتش عن المرأة» .. مقولة فرنسية شهيرة وردت – بنصها – فى مسرحية الكاتب الفرنسى الكسندر دوما «الأب» بينما وردت – بمعناها – قبل ذلك بقرون على لسان الشاعر الرومانى فرجيل فى ملحمة «الإنيادة» ، وكلاهما أراد القول باختصار : إن المرأة ولا أحد غيرها وراء كل بلاء !!! وفى قرآننا الكريم يرد النص ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] ، بينما يقول البعض «المرأة شر كلها ، وشر ما فيها أنه لابد منها» ، أما التراث العربى فيقول فى أمثاله – والأمثال كتاب الشعوب – «النساء حبائل الشيطان» ، وهذا قول الشاعر :

هن شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

أما علوم كشف الجريمة ، فإن أول بدهية من بدهياتها هى البحث فى أية جريمة عن الخيط الأساسى – المرأة – حيث يرون أن المجرم يقتل أو يسرق إما إرضاء لامرأة ، أو رغبة فى الحصول على مايرضى امرأة أو غيرة على امرأة أو منافسة مع غريمه على امرأة أو محرضا مدفوعاً بامرأة !!

تلك إذن ضريبة ، على المرأة أن تدفعها صاغرة لقاء كونها مخلوقاً جميلاً حباه الله بمواطن الحسن ومكامن الروعة ، فكانت مطمعاً ومغنما للرجال ، ثم كانت «حماقة» الرجل – لامتلاك هذا الجمال لنفسه – أن يرتكب جرماً ، ثم بعد ذلك زيّن له «ظلمه» أن يعلق على شماعتها جريمته، مدعياً أنها وراء كل بلاء!

ما ذنب المرأة ، إذا كانت طبيعة الرجل أن يسمع إهانته بعيداً عنها فيتغاضى ، ويسمع إهانته ، أمامها فيشتاط غضباً ويرتكب حماقة ، ما ذنبها فى هذا ؟ ما ذنبها إن تنافس على كسب ودها رجلان ،فعادى أحدهما الآخر ، أو كاد له أو حتى قتله ، ما ذنبها ؟

ترى ، لو أن أمر كشف الجرائم بيد النساء ، هل تنقلب البدهية البوليسية لتصبح «فتش عن الرجل» !!؟

هل من العدل أن نعمم ما ورد فى القرآن الكريم عن امرأة العزيز وجوقتها من النساء حيال سيدنا يوسف ، على كل نساء العالمين ، ومنهن أمهات المؤمنين وامرأة فرعون وكل النساء المؤمنات القانتات الحافظات ؟

أعدلٌ أن نهدر تاريخا – ريحه طيب – لنساء كن ومازلن مثالاً للطهر والعفاف ، ومحرضات على فعل الخير والتقوى ، وبانيات لرجال ، ما كان لقاماتهم أن تقوم من دون نسائهم ؟

هل تقرءون معى قول أحمد شوقى على لسان ليلى العامرية لقيسها عندما دعاها لخيانة «ورد» زوجها والهروب معه ، فى ثلاثة أبيات هن أجمل ما قرأت على لسان امرأة :

ورد هو الزوج ، فاعلم قيس أن له   حقاً علىّ أؤديه وسلطانا
ولست بارحة من داره أبداً   حتى يسرحنى فضلاً واحسانا
نحن الحرائر إن مال الزمان بنا   لم نشك إلا إلى الرحمن بلوانا

ما أكثر الحرائر من النساء فينا يا ابنة عامر ، ما أكثر المحرضين – من الرجال – على الخيانة أمثال قيس فينا يا صاحبة المجنون ، لكنهم باحثون طوال الوقت عن دور «الذبيح» المغلوب على أمره والذى يجد دوما فى المرأة

«حائط مبكاه» الذى يسند إليه رأسه الأجوف ، الخالى مما كرم به ، ليذرف دمعات الحسرة على ما فرط من أمره ، ثم يتمتم بعد ذلك بشفتيه – لا أتم الله تمتمتها – «فتش عن المرأة» !!

فإن قالت له لقد فعلت ذلك بنفسك من دون إكراه منى اعترض ، وأصر واستكبر ، وهذا قول أبى فراس الحمداني ليبرر – زوراً – «صعلكته» حباً وهياماً فى محبوبته :

قالت لقد أذرى بك الدهر بعدنا فقلت معاذ الله بل «أنت» لا الدهر

ها هو – وغيره كثير – يزرى بنفسه ، ثم يتهمها ، ويترك لنا من بعده أن نفتش عن المرأة !!

سامحننا أخواتى وبناتى وأمهاتى ، فبعض الرجال شياطين خلقوا لكن ، فاستعذن بالله من شر الشياطين الذين لم يعفّوا ، فلم تعفّ نساؤهم .. ونساؤهم هن أخواتهم وأمهاتهم وزوجاتهم وبناتهم ، وعليه فهم أصل البلاء – لا أنتن – و «التفتيش» سينالهم يوماً ما ، وقت أن يشاء الله «فيفضح ما ستر» .

بصمة

التلذذ بشهوة «العفة» أشهى أنواع التلذذ بالشهوات .. جربها – ياصديقى الرجل – وتوكل .. !!

ماذا .. لو عاد الزمان ؟!!

سؤال يدور فى أذهان البعض منّا .. كلما همّ برفع الراية البيضاء .. أمام متاريس العجز اليومى .. ثم يعود من دون إجابة .. لينزوى فى الركن البعيد المتواطئ من ذاكرته .. إلى حين .. يعود بعدها ليطفو على سطح الرغبة مرة أخرى .. ليدور .. ثم يدور .. حتى ينهكه الدوران .. فيترنح .. مانحاً لهذا البعض .. الفرصة لغرس سكين «الرضا» بالأمر الواقع .. فى قلبه .. وتحقيق نصر يتوقون إليه .. لموازنة هزائم .. «رفض» .. الأمر الواقع !!!

واحد من هؤلاء الذين لم يتعودوا أن يعترفوا بأن قهر الأمر الواقع لم يترك لهم إلا بقايا الاستمتاع بـ «أحلام» الإجابة عن هذا السؤال .. أحلام الرغبات الموءودة .. والأمنيات المذبوحة .. جلس أمامى ذات مساء وفجر من بين دموعه المتحجرة فى ركنى عينيه قنبلته .. التى ما توقعتها .

«لو عاد الزمان .. ماتزوجتها .. بل ما عرفتها .. ولا اقتربت من الشارع الذى يضم بيت أبيها .. لو عاد الزمان لرضيت بـ «ذل العزوبية» ... بعيدا عن «عز الزواج» .. فقد قتلتنى بطيئا .. بطيئا .. وزرعت فى نفسى .. كل أنواع الأمراض المستعصية على العلاج .. ووطّنت فى ذاتى كل أنواع اليأس المستعصى على أى بارقة أمل ... وحولت النعيم اليسير الذى أستخلصه بالكاد من بين أنياب الحياة الشرسة .. إلى جحيم مقيم فى بيتى ومن حولى وأينما وليت وجهى ..!!»

لأننى أعرفه منذ زمن .. وأعرف قصة هيامه بها .. وزواجه منها .. فقد

كانت كلماته .. بمثابة طلقات رصاص من اتجاه مجهول .. لا تملك لها دفعاً أو منها استتاراً .. وكدت للحظة .. أخلط بين موضوعية أستاذ علم النفس .. الذى يستمع إلى صاحب مشكلة .. وبين ذاتية الإنسان .. الذى يستمع إلى مشكلة صديق صاحب أسرة صديقة !! ... قاومت الرغبة فى القيام بدور المخلص الذى يخشى انهيار أركان بيت «عامر» .. وسددت نظراتى نحو عينيه .. أدعوه للمزيد من الضغط على الجرح الغائر .. فاستجاب ..

« إنها ياصديقى رجل فى ثياب امرأة .. رجل خائب فى ملابس امرأة معتوهة .. إنها تحب التسلط حباً نرجسيا .. إلى الحد الذى لو لم تجد فيه من تتسلط عليه فإنها .. تتسلط على «شخوص أحلامها» .. إنها تجيد فن صناعة عجائن النكد .. بكل أشكالها التى تصلح لكل المناسبات .. لا يحلو لها نشر عيوبى إلا أمام من تظن .. مجرد ظن .. أنه يرى فى شخصى الضعيف .. صفة حسنة !! سواء من أهلى أو من أهلها ! .. إهانتى أمام أولادى .. ديدن يومى لها منذ أن وعى أولادى معنى الإهانة .. لا يخلو حديث أو نقاش لها .. معى أو مع غيرى .. من تلميح «وقح» بعجزى وهيمنتها ... إنها تعطينى مصروفى اليومى .. من مالى .. مثلما يعطى بخيل صدقة .. مصحوبة بمنٍ .. وأذى !! .. إنها ترى فى كل الرجال .. شبابا وفتوة .. ورجولة وشهامة .. ووسامة وجمالاً ... إلا أنا .. فترى أننى معدم من كل ذلك .. !! .. إنها ... »

أوقفت استرساله .. بإشارة من كلتا يدىّ .. أسترحمه .. ألا يتقيأ المزيد .. فقد أصابنى حديثه بقدر من الاشمئزاز .. لم أعهده منذ زمن .. وتحاملت على نفسى لأسأله سؤالا .. أُمنطق به ماحكاه عنها من أمور لاتصدق ..

«لو كانت على هذا القدر من السوء الذى لايوصف .. فما الذى دفعك إلى الصبر على كل هذا الضيم .. طيلة سبع سنوات .. جاء لكما فيها ثلاثة من الأبناء الأبرياء .. هل اكتشفت كل ذلك فجأة ..؟؟!!»

يبدو أنه من فرط توقعه لهذا السؤال .. لم يجشم نفسه عناء البحث له عن إجابة .. وشبّك يديه فوق عينيه وأغرق فى نوبة صمت .. تشاغلت أنا أثناءها .. أو تظاهرت بترتيب مجموعة من الأوراق على مكتبى .. إلى أن علت همهمات نحيبه المكتوم .. فالتفت إليه ببعض الكلمات التى تخفف قسوة سؤالى .. فقاطعنى فجأة .. بسؤال لم أعهد أن يوجهه لى صاحب مشكلة .. ولكن يبدو أنه استند لصداقتنا .. حيث سألنى :

«أصدقنى القول يا دكتور .. هل أنت سعيد فى حياتك الأسرية ..!!؟»

كان سؤاله منطقيا .. من وجهة نظر التحليل النفسى .. حيث إنه ينتظر إجابة معينة وفى اتجاه معين .. يسترد بها .. بعض ما شعر أنه فقده بإفشاء أسرار حياته الخاصة لصديق .. بالإضافة إلى أن مثل تلك الاجابة .. «المعينة» ستقلل من إحساسه بعمق الجرح الذى أصاب حياته .. لكننى – للأسف – خيبت ظنه .. وقلت له بنبرة لا تخلو من استنكار لسؤاله ..

«لو عاد الزمان ياصديقى .. فسأفعلها ثانية .. تماما .. وبنفس تفاصيلها الدقيقة ..!!» .

«جائز ...!!» ... قالها .. وانصرف لايلوى على شئ .. بعد أن ألقى ناحيتى بنظرة .. لا يخفى معناها على من يعرفه .. تقول بأنه يعتقد أننى .. وهو .. فى الابتلاء الأسرى سواء .. والفارق الوحيد هو أننى أملك المقدرة على إخفاء أسرارى .. أما هو .. فصراحته هى عيبه «الغبى» !!

التقيت به بعد أيام فى منزله .. أنا وأسرتى .. وقدم لى قطعة من «الكيك» .. قائلا .. «خذ هذه .. إنها من صنع يدى زوجتى .. فأنا ما تعودت أن أشعر بالمذاق اللذيذ .. والطعم الرائع .. إلا فيما تصنعه زوجتى .. الحبيبة ..» ثم بدا لى .. كعاشق هائم .. فى نوبة غرام .. تحت ظلال الزيزفون !!!

* * *

تملكتنى الحيرة أياما بعدها .. وأنا أتساءل عن مدى التعاسة التى يعيشها أولئك الذين .. يتمنون «لو عاد بهم الزمان ..» .. ليفعلوا غير الذى فعلوا .. هل هم صادقون فى إعلانهم عن تعاستهم» ؟ .. هل هو مجرد شعور لحظى بالتعاسة ..؟ هل لديهم من النقائص .. ما يجعل «سُعادتهم» .. فى لذة الشكوى من «تعاستهم» .. أمام الآخرين .. لاستدرار عطفهم ؟؟

هل نحن سعداء .. لأننا نعرف كيف «نروّض» .. تعاستنا .. أم أننا تعساء... لأننا نبحث طوال الوقت عن .. السعادة الكاملة !!؟؟

ربما كل ذلك .. وربما نحن سعداء .. فقط لأننا أغبياء !!!

بصمة

السعادة الحقيقية .. ليست فى الاستمتاع بالأحداث .. بقدر ما هى فى الاستمتاع .. بتفاصيلها الدقيقة !!!

الزوجة الثانية ..!!

هل تصدقون أن فرصة نجاح الزواج الثانى أكبر من فرصة نجاح الزواج الأول .. وأن الأسرة فى ظل الزواج الثانى يمكن أن تتمتع باستقرار عائلى .. وسعادة زوجية أفضل .. ؟؟!!

وقبل أن يفغر الأزواج «المنضبطون» – من أمثالى – أفواههم دهشة .. أقول لهم: إن هذا هو ما انتهت إليه دراسة أمريكية .. أجريت على ٧٦ ألف حالة زواج ثانٍ .. حيث وصلت أيضا إلى أن نسبة الطلاق بين المتزوجين للمرة الأولى هي ٣٨٪ .. بينما تنخفض هذه النسبة إلى ٢٥٪ فى حالة الزوجة الثانية ..!!

* * *

نظرت إلىّ زوجتى الجالسة أمامى على «الفوتيه» المقابل .. وهى منهمكة فى قراءة الجريدة اليومية .. وقد سقطت نظارتها على أرنبة أنفها .. تاركة الفرصة لعيونها المتنمرة أن تتحرك من وراء عدساتها حركة دائرية .. لتقع على أى تصرف خطأ يصدر من أحد سكان البيت .. المساكين .. أو «المساجين» ..!! وقمت لإعداد كوب من الشاى لنفسى .. موفرا على نفسى موشحا من النصائح التى ستنسال بالتأكيد على لسان العزيزة .. عن ضرورة التعود على الاعتماد على الذات .. وتقديم نموذج للأبناء لتعاون الزوج مع ربة المنزل .. إلى آخر ما أعرف أننى سأُواجه به لو أننى فكرت فى قطع خلوتها الثقافية .. وطلبت منها أن تقوم بإعداد كوب الشاى ..!!

تساءلت .. وأنا أصب «لهيب» الماء على السكر .. متحاشياً ما أمكن لسعة «براد» الشاى : تُرى .. لماذا يُطلّق الأزواج زوجاتهم ؟؟ .. ولماذا يبحثون عن زوجة ثانية؟؟ .. ولماذا يكون النجاح بالضرورة قرين الاختيار الثانى كما تقول الدراسة ؟؟!! وهل الزواج الثانى حقا أنضج وأكثر عقلانية.. مما يوفر له حظا أفضل ؟؟

حملت تساؤلاتى .. وكوب الشاى .. إلى الشرفة .. وجلست – خلسة – أقلب الأمر على وجوهه ..

***

من المنطقى أن نتوقع نجاحا «مدوياً» للزواج الثانى !! لماذا ؟؟ .. لأن المتزوج من زوجة ثانية .. إما أنه مطلّق .. أو أنه قد احتفظ بالزوجة الأولى .. «على ذمته» .. وفى الحالة الأولى .. فقد تزوجته زوجته الثانية «على عيبه» وبالتالى فليس متاحاً له أن يمارس عليها تسلط الرجال الذى نعرفه .. وعليه فهو زوج «مستأنس» .. «لا يهش ولا ينش» .. أو .. وبمعنى أوضح .. «عينه مكسورة» .. ولسان حال الزوجة الجديدة يخاطبه كل لحظة .. «مش تحمد ربنا أننى رضيت بيك» ..!! ومثل هذا الزوج «المثالى» .. تكون فرصة نجاح زواجه بالطبع .. أكبر وأفضل ..!! أما إذا كان مازال محتفظاً بزوجته الأولى .. فليس منطقياً أن يمنحها فرصة «الشماتة» فى اختياره .. وأن يمكنها من القول للرائح والغادى كلما سمعت عن خلافات له مع «العروس» : «خليه يجرب غيرى .. علشان يعرف خيرى» .. !! ولأنه يريد أن يقول لكل من لامه من الأقرباء والغرباء على زواجه .. إننى فعلت .. ونجحت .. وغير نادم .. لأنها «تسقينى الشهد ألواناً» ..!! لكل ذلك .. فإنه يغض الطرف عن سوئها – إن وجد – .. ويتغاضى عن تسلطها – إن وقع – وهذه هى تماماً

مقومات الزوج المثالى .. الناجح ..!!

وربما ينجح الزواج الثانى .. لأن الزوج فى هذه الحالة .. متهم من كل من يعرف .. بأنه لايجيد معاشرة النساء .. ألم يطلق زوجته .. «الطيبة» «الودود» ..؟؟ ولهذا فإنه يدخل التجربة الثانية وهو أكثر تصميماً على إثبات عكس ما يدور فى أذهان من حوله .. فيتساهل أكثر .. ويتحمل أكثر .. و«ينافق » أكثر .. حتى لاتفشل زيجته الثانية .. فيوصم بالفشل «النسائى» .. وهو مرض خطير.. يهرب منه كل الرجال كما تعرفون «هروب السليم من الأجرب» ..!!

وربما ينجح الزواج الثانى .. لأن زوجته الثانية لاترغب - وهو أيضا - فى الإنجاب .. فقد ملّ انشغال الزوجة الأولى بأطفالها عنه .. ومثل هذه الزوجة الثانية «المتفرغة» .. يمكن أن تمنحه من وقتها أضعاف ماكانت تمنحه إياه «أم العيال» فيشعر معها بمتعة أكثر .. ورجولة أكثر .. فيتقبل «دلع» الأنثى بصدر رحب .. وينفذ «أوامر» العروسة بنفس راضية .. فينجح زواجهما .. رغم أنف الزوجة الأولى .. وأنف الشامتين أجمعين ..!!

وربما ينجح الزواج الثانى .. لأن الزوجة الثانية لاتعرف شيئا عن بداياته «العصامية» .. وبالتالى فإنها لاتذكّره بها فى كل حين يحلو له فيه أن يتعملق عليها .. بل وتمنحه فرصة الإحساس بالذات .. وممارسة الرجولة «الحقة» .. انطلاقا من قدرته على «التمويل» ..!! .. ومثل هذا الجو الذى يختفى فيه من يعرف عنه « سوءاته » .. يكون أرضا خصبة للوفاق رغم الاختلاف .. وللنجاح رغم مقومات الفشل .. حيث قال الأولون : « قم ياأبى لتشرفنى .. قال له لا أستطيع إلا عندما يموت من يعرفنى..» ! والزوجة الثانية التى لاتعرف بالتأكيد .. تعطيه الفرصة لنيل الشرف الذى يبتغيه ..

بعيداً عن عيون – ولسان – الزوجة الأولى التى تعرف كل شئ ..!!

وقد ينجح الزواج الثانى .. لأن عنتريات الزوج – الحقيقى منها والمختلق – تجد لدى الزوجة الثانية أذناً صاغية .. بعدما فقد الأمل فى أن تستمع إليه الزوجة الأولى .. إما لأنها اكتشفت – مع العشرة – محض كذبه .. أو لأنها ملت تكرار حديثه عن تلك العنتريات «التى ماقتلت ذبابة» ..!! .. والرجل – أى رجل – يحب أن يكون كلامه محط اهتمام السامع .. وبصفة خاصة إذا كان هذا السامع .. امرأة .. !! .. لذا يسعد ذلك الزوج بتلك المرأة التى مازالت فى «طور» الانبهار بما يرويه ويحكيه عن نفسه .. وحديثه دوما هو جديدها .. إلى أن تنضج وتدخل طور «الملل» القادم لامحالة ..!! وحتى ذلك الحين .. فالزواج الثانى ناجح .. ناجح .. ناجح..!!

وقد ينجح .. وقد ينجح .. وقد ينجح .. والأسباب كثيرة كثيرة .. ولا دخل لها على الإطلاق بفشل الزوجة الأولى .. وإن كانت الظروف تحتم دوماً المقارنة بينهما .. ليقال : إن تلك نجحت فى الاحتفاظ به .. وإن الأخرى فشلت .. والحق الذى يجب أن يقال : إن الثانية قد تمكنت من أن «تجبره» على النجاح .. بينما تركت له الأولى أن «يختار» النجاح .. ففشل..!!

* * *

رشفت من الكوب رشفة .. أدركت معها أننى نسيت أن أضع كيس الشاى فى الكوب .. !! .. فقمت إلى زوجتى – على استحياء – أستسمحها ألا تتركنى نهبا لأفكار سخيفة عن الزواج الثانى .. وألا تدعنى أنساق وحيدا وراء رغبتى – ككل الرجال – فى أن تستمع لقولى امرأة ..

واثنتان .. وثلاث .. وأن تتكرم بإعداد كوب من الشاى يضمد جراح فكرى المشتط هذا .. فنظرت من فوق نظارتها نظرة ذات مغزى .. ثم واصلت قراءتها للصحيفة .. وكأنها لم تسمع أحدا يتكلم !!!!!

بصمة

الزوجة الثانية .. طبيب نفسى فى «مهمة إنسانية» .. مع مريض .. كل مشكلته أنه «يريد» أن يشعر بذاته .. مقابل «قسيمة زواج» .. !!

الخل .. الوفى !!

لست أدرى لماذا اختار إخواننا القدماء .. ثلاثية « **الغول والعنقاء والخلِ الوفى** » .. كمستحيلات ثلاثة .. برغم أن حياتهم كانت زاخرة بمستحيلات .. أكثر استحالة .. ليتركوا لنا أن نصف بعدهم .. كل ما يقابلنا بعد ذلك من أمور يصعب تنفيذها أو تصديقها .. بأنها من رابع المستحيلات !! .. ولست أدرى لماذا ضمنوا «الخل الوفى» ضمن مستحيلاتهم الثلاثة .. برغم أن هناك قاسماً مشتركاً بين الغول والعنقاء ككائنين غير عاقلين خُرافيين .. بينما الخِلّ الوفى .. كائن عاقل حقيقى.. ليس له علاقة بالغول .. ولا بالعنقاء ..!!

والحقيقة التى يجب أن نُعيد النظر فيها .. هى أن الخل الوفى ليس مستحيلاً كما ادّعوا أو ندّعى .. وأن الخِلان الأوفياء فى حياة كل منّا موجودون وبوفرة .. لكن المشكلة تكمن فى أننا لانستوعب - ولا نريد أن نستوعب - فكرة «المرحلية» .. المرتبطة بالخِل الوفى .. فالمفروض ألا نتوقع وجود خِل وفىّ .. طوال مراحل حياتنا .. ولكن علينا أن نتوقع أن يكون لكل مرحلة فى حياتنا .. خلٌ وفىٌ .. وعندما ننتقل إلى مرحلة أخرى من حياتنا .. لاتناسب «ظروفها» ذلك الخِلّ القديم .. فإنه يتراجع .. لا عن وفائه بل عن كونه خلاً !! .. وبالطبع فإننا نسارع بوصفه بعدم الوفاء .. ونعود لنتغنى بقول الأقدمين عن المستحيل الثالث .. برغم أننا لو أمعنا النظر.. لأدركنا ظهور خلٌ وفىٌ جديد فى حياتنا .. يناسب المرحلة الجديدة!!

* * *

قال لى بعد وصلة من الحسرة على الأيام الخوالى : «كنا لانفترق .. ولا

ينام أحدنا قبل أن يطمئن على أحوال الآخر .. كل أسرارى مودعة فى أحشائه .. وكذلك أسراره .. لكن .. وبالتدريج ..حدث الفتور والبعد .. دون أى تفسير مقنع .. اللهم إلا أنه .. قد تزوج ..!!»

قلت له : «الزواج ياأخى مرحلة جديدة فى حياته .. لايتفق معها أن يسهر معك فى منزله أو منزلك إلى وقت متأخر .. ولايتفق معها أن تزوره فى أى وقت كما كنت تفعل من قبل .. بالإضافة إلى وجود طرف جديد فى حياته قد لا يروقه نوعك أو علاقتك .. وهو بالتأكيد سيسعى إلى إرضاء هذا الطرف على حساب علاقتكما .. فيحدث الفتور والبعد .. الذى يجب أن ندرك له أسبابه .. قبل أن نولول على مستحيل الخِل الوفى ..!!»

* * *

قالت لى فى معرض حديثها عن صداقات زمان المخلصة : «كنا فى الجامعة صنوان لايفترقان .. كنت أنسحب من تسجيل مساق دراسى إذا انسحبت هى منه .. كنت أسهر معها إذا كان عليها أن تستذكر لدخول امتحان فى الغد ليس علىّ أن أدخله .. كانت غاية أمنياتنا أن نلتقى برجل يقبل أن يقترن بكلينا معاً .. لنظل بقية العمر سوياً لانفترق .. كنّا نبكى فى بدء الإجازات وكأن عزيزاً لكلينا قد أصابه مكروه .. وعندما تخرّجت وتقدم لها عريس .. زرتها بفرحة توحى وكأنه لى .. لكنها لم تقابل فرحتى بما ينبغى من ود .. وانشغلت عنى بحياتها الجديدة دون أن تلقى بالاً لأمانينا التى كانت مشتركة .. ووحدتى التى تركتنى فيها من دون أنيس !!

قلت لها : «هل تعتقدين أن الصداقة بينكما كان يجب أن تفرض عليها أن تعرض على عريسها أمنيتكما الساذجة .. ليقترن بكليكما .. حتى تكون من وجهة نظرك .. خلاً وفياً .. أم نسيت أن أحد عناصر الوفاء للخِل .. هو التفرغ له من دون وجود أعباء عليها أن تضطلع بها .. تخص آخرين دخلوا حياتها من حقهم وحقها أن تعتنى بهم ؟! ثم إنك الآن على علاقة صداقة

بأخرى كما أفضيتِ لى .. وظروفها الآن مهيئة للوفاء كما ينبغى .. فأنتما متفرغتان لبعضكما .. إلى حين صدور إشعار آخر تنشغل فيها إحداكما بمن يقتحم حياتها كتفاعل طبيعى فطرى .. فتتخفف من العلاقة معك .. ويحدث للمرة الألف .. أن تلومى ذلك الزمان الذى لايجود بالخل الوفى..!!»

* * *

الخل الوفى موجود .. وليس مستحيلاً .. وليس خرافة .. لكن المستحيل الوحيد الذى يتعلق بهذا الأمر .. هو وجود الصديق الذى يقدر ظروف صديقه .. ويتخفف فى مطالبته بحقوق أو واجبات الصداقة «المتعسفة» .. التى لاترعى المرحلية .. ولاتأخذ بقول الشاعر :

إذا كنت فى كل الأمور معاتباً .. صديقك لن تلق الذى لاتعاتبه .

وأول الأمور التى يجب ألا تعاتب فيها صديقك .. هو ماتمليه عليه ظروف مرحلة جديدة ينتقل إليها .. قد لايكون لك فيها مكان بالحجم الذى كان لك .. فى المرحلة السابقة عليها .. والتى كان فيها من وجهة نظرك .. خلاً وفياً..!!

ما رأيكم فى أن نتفق على سعة الأفق .. وحذف .. «الخل الوفى» من ثلاثية المستحيلات .. لنقول بعد ذلك لما يقابلنا من صعب الأمور .. بأنه من «ثالث» المستحيلات !!

بصمة

لى ألف خل وفى .. وألف خل خائن .. ومجموعهم جميعاً .. ألف !!

المرأة المجهولة ..!!

استثناءات قليلة .. قليلة جداً .. هى تلك التى تستطيع المرأة أن تحتفظ فيها بمشاعر رجلها ناحيتها حتى آخر العمر .. أما القاعدة .. فهى أن الزوج .. فى الأغلب الأعم .. وبعدما يتوارى جمال امرأته وشبابها .. وتدخل مكرهة نحو سنواتها العجاف .. يشعر بأن من حقه أن يسعى نحو مايجدد له بعض شبابه .. سواء على المستوى العاطفى .. أو على المستوى الحسى .. فيلجأ إلى أن يتزوج .. أو يحب .. أو يميل .. أو حتى يكبت إذا لم يجد أياً مما سبق متاحا ..!!

على أنه – للإنصاف – يجب أن نذكر أن هناك عواملَ عدة تلعب دوراً فى هذا التغير الذى «يصيب» مشاعر الزوج نحو امرأته .. منها مثلا .. أن كثيراً من الزوجات يحرصن منذ البداية .. وفى أيام عنفوان الشباب .. على أن يكون جمالهن هو رسولهن إلى الأزواج .. وفتنتهن هى المُحدّث والمُلهم .. وأنوثتهن «الجسدية» هى رُمانة الميزان فى علاقتهن معه ..!! وبالطبع .. فإن ذبول تلك الفتنة وأفول شمس ذلك الشباب .. سوف يفرض واقعا جديدا تفتقد المرأة فيه لأدوات النقاش «المقنع» له .. ومقومات الاحتلال «المحبب» للمساحة المتاحة فى أرضه .. بينما يفتقد الرجل فيه للمبرر الذى جعله طوال السنوات الماضية فى عمره معا .. راضيا بذلك الاحتلال .. مقتنعا بذاك النقاش ..!!

ومن هذه العوامل أيضا .. أن المجتمع – العربى بخاصة – قد درج على

التعامل مع سن الأربعين عند المرأة على أنه سن «يأس» .. وسن بداية النهاية «المريرة» .. ومع سن الأربعين عند الرجل .. على أنه سن «نضوج» .. وسن نهاية البداية .. «المريرة» أيضا ..!! ومع شيب المرأة على أنه شيخوخة كبَر .. وقبح فوق قبح .. ومع شيب الرجل على أنه وقار وهيبة .. وجمال فوق جمال ..!!.. ومع الرجل الذى يود الزواج من امرأة مسنة .. على أنه مريض نفسيا بداء الحرمان من حنان الأم فى الطفولة .. ومع الفتاة التى تريد الزواج من رجل مسن .. بأنها متفتحة «محبة» لرجولة أبيها .. تعرف الفارق بين الشباب عديم الخبرة .. والرجولة الناضجة الحقة ..!!

لكل هذه الأسباب وغيرها .. يعايش الرجل بعد الأربعين وهماً .. اسمه «عدم كفاية امرأته له » .. ووهماً آخر اسمه «حقه الطبيعى فى أن يستمتع بشبابه» .. ووهماً ثالثاً اسمه «إعجاب صغيرات السن بنضجه» .. !! لكن .. يظل السؤال الذى سعينا إلى ذلك المقال من أجله .. باقياً :

من تلك المرأة التى يمكنها أن تمثل الاستثناء من تلك القاعدة «الخائبة» ؟؟ .. من المرأة التى بمقدورها أن تحتفظ بمشاعر زوجها حيالها دون أن ينال منها التغيير الذى تفرضه – عليها وعليه – عوامل الزمن و«اليأس» ..؟؟!!

* * *

إنها ببساطة .. المرأة المجهولة ..!!

فالرجل – ياسادة – تجذبه فى شخصية المرأة .. المناطق المجهولة فيها .. ويستفز تعلقه بها .. كمّ «اللوغاريتمات» التى عليه أن يحلّها فيها .. فهو لايُشجيه أن يجدها كتابا مفتوحا يمكنه أن يقرأه بسهولة .. ولايُسعده أن

يجدها خارطة سهلة يمكنه أن يفك رموز تضاريسها بيسر وسلاسة ..!!

فالغموض فى شخصية المرأة .. والعطاء المدروس .. والامتناع المحسوب .. يجعل المرأة فى عينى الرجل .. لغزاً «مستديماً» يسعى دوما – فى صحوه ومنامه – إلى حل طلاسمه .. ليرضى غروره التاريخى والفطرى .. ونزعته إلى الإحساس بالامتلاك «الكامل» .. الذى ينتقص منه أى قدر من الجهل بموضوع الامتلاك ..!!

ولا أظن أن النساء – بالفطرة – يجهلن مثل هذه الحقائق .. لكنهن – وبالنصائح الساذجة التى تُلقى فى آذانهن من القريبات والصديقات عديمات الخبرة «النسائية» – .. قد يتورطن فى كشف كل الأوراق مع الرجل .. وشحذ كل الأسلحة فى مواجهته .. سعياً وراء تحقيق مكاسب أكبر فى علاقتهن به .. وهنّ يجهلن أنها مكاسب وقتية .. لايُكتب لها الاستمرار والدوام ..!!

* * *

فلو أن المرأة جعلت من صمتها أحيانا .. ومن غموضها أحيانا أخرى .. ومن تجديد «ماسبق له معرفته» أحيانا ثالثة .. ومن تقديم المشاعر «المعلومة» بطرق «غير معلومة» أحيانا رابعة .. ومن مناورة فضوله بذكاء أو «استغباء» أحيانا خامسة .. أقول لو أنها جعلت من كل ذلك أسلوباً لها .. وطريقة تخاطب بها غرائزه وفطرته .. لوارته التراب – بعد عمر طويل – ولسان حاله يقول .. كما قال قيس بن الملوح من قبله : .. **مازالت فى النفس حاجاتُ إليكِ كما هى** ..!!

* * *

إن المرأة التى تعرف كيف تنفخ «قبلة الحياة» فى روح حياتها مع رجلها بتجديد «مشاعرها» ناحيته كلما نالت منها «روتينية» الأمان .. و «بلادة» النسيان .. وباستدعاء «كبريائها» تجاهه كلما اطمأن إلى «استسلام» الأنثى.. و«سكون» الحلال .. وقدمت نفسها له فى ثوب جديد وصورة جديدة .. كلما أصابه «نفور» اختلاط الطعم السابق باللاحق .. و«زهد» امتلاك المتاح .. !! إن المرأة التى تعرف كيف تفعل كل ذلك .. سوف تحتفظ بزوجها إلى الأبد .. ولو طاردته كل نساء العالم ..!!

* * *

فهل منكن – أيتها النساء – من ستأخذ بنصيحة رجل أفشى سر بنى جنسه .. أم أنكن قانعات بـ «القدر والنصيب» .. دون أن تفكرن بالأخذ بالأسباب «المنطقية» أولاً .. كما يفعل العقلاء ..؟؟!!

بصمة

المرأة التى تتعامل مع الرجل كـ «حيوان» غريزى .. لا تلومنّ إلا نفسها عندما يولّى «جثتها» ظهره.. بعدما يشبع لديه غريزة «الافتراس» ..!!

زوجي .. مراهق !!

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة صباحا بقليل .. عندما تقلبت فى فراشى فلم تصطدم يداى إلا بالفراغ البارد .. الذى يشى بأن صاحبه قد غادر مكانه منذ فترة ليست بالقصيرة ! تراءى لى للوهلة الأولى .. وأشباح النوم لم تفارقنى بعد.. أن أحد إخوته قد استدعاه - كعادة أسرته - لحل أحد الخلافات اليومية المعتادة والمزمنة .. بين زوجة أخيه وأمه .. ولم يشأ إزعاجى.. لكن عقارب الساعة الملتصقة بالحائط .. أشارت إلى أن الوقت متأخر .. إلى الحد الذى أشعرنى بالقلق .. منه أو عليه . خرجت إلى الشرفة لاستدرار الاطمئنان من صوت السيارات فى الشارع النائم .. أدهشنى ما رأيت فى ظلام الشرفة ..

زوجى الذى تخطى الخامسة والأربعين يجلس منزوياً فى ركن الشرفة .. يحملق فى نجوم السماء .. وبيده فنجان القهوة التى ما تناولها بعد الخامسة مساء منذ أن تزوجته .. ويردد بصوت مسموع .. « سمراء يا حلم الطفولة .. يامنية النفس العليلة كيف الوصول إلى حماك .. وليس لى فى الأمر حيلة ؟!!» . لم تكن عادته أن يثنى - أو يبث خيالى - غرامه على ضوء القمر .. وإلا لتصورت أن عذابات أيام الخطبة الخوالى قد عادت إلى مخيلته .. ثم إننى.. وذلك هو الأدهى .. لست سمراء .. بل بيضاء .. يغار اللؤلؤ من مرمريتى.. وبالتالى فمن المستحيل أن أكون أنا تلك التى غادره نومه .. وزاره شيطان السهر .. من أجلها !!

انتفض من مكانه .. بمجرد أن صفعت خطواتى المتلصصة سمعه

الشارد.. كأنما لدغته حيه رقطاء .. وغاض الدم فى وجهه كما يغيض من وجه الذبيحة .. وتلعثمت حروفه عندما فاجأته بسؤالى عن تلك السمراء .. التى أقضت مضجع « العاشق » المحترم !!. لم يقل شيئا .. وحاول أن يستجمع مفردات اللغة التى تاهت على شفتيه المرتعشة .. وأزاحني بيده عن الباب الذى تصدرته .. ودلف إلى الداخل متيحا لى أن أرى – على ضوء الغرفة الذى واجهه أثناء دخوله – بقايا دمع فى عينى « الشايب » الوقور !!

عدت إلى حجرتى وأنا مذهولة .. فليس الذى رأيت فى هذه الليلة سوى أحد المستحيلات التى لو حكاها لى أحد .. ما صدقته .. وجلست أسترجع ذلك التغير الذى طرأ عليه منذ شهرين تقريبا .. والذى لم ألق له بالاً فى حينه .. فقد بدأ مثلا .. يهتم بعطوره إلى حد كبير .. وبعد أن كنت أتحايل عليه لكى يضع عطرا وهو فى طريقه إلى عمله .. أصبح دولابه زاخرا بتشكيلة من العطور الغالية .. ثم تلك المجموعة الأنيقة من البدل الإفرنجية التى اشتراها منذ فترة .. والتى صار يرتديها ومعها أحد ربطات العنق التى تخفى خلفها نسبها إلى أحد بيوت الأزياء العالمية .. عندما يُدعى – أو يدعو – لمناسبات.. زادت إلى حد كبير فى الفترة الأخيرة ..

أما عن النظارة الفخمة .. والأقلام الفاخرة .. والأزرار اللامعة ..

فحدث ولاحرج !!!

لم يكن همى فى هذه اللحظات الكئيبة.. إلا إكراه عقلى على محاولة الاجتهاد .. لمعرفة تلك السمراء التى انتزعت زوجى من فراشى بهذا العنفوان الذى يفتقده .. فى الكثير من شئون منزلنا !! .. لم تكن ذاكرتى بحالة تسمح بالاستدعاء .. قررت أن أختصر الطريق وأستنطق صاحب الأمر .. واتجهت نحو غرفته .. لم أجده .. تجولت بين بقية غرف المنزل .. فلم

أعثر له على أثر .. ترى هل خرج فى هذه الساعة ؟.. وإلى أين ذهب؟ .. ومن تلك السمراء؟ !! عدت إلى سريرى منهكة الجسد .. كأنما انهارت فوقه أعمدة معبد .. وتراقصت أمام دموعى دوائر الضوء المخيف فى سقف غرفتى .. وانهالت معاول الظنون على رأسى .. تستحضر إلى ذاكرتى كل من فى بشرتها أثر سمرة .. إنها ابنة خالته لابل هى فلانة ..لابل هى مطلقة صديقه الحميم .. كلهن سمراوات .. من منهن؟ .. وكيف استطاعت؟ .. ولماذا هو؟.. ومتى حدث ذلك؟ .. وحبنا الذى كان .. آه ما أقسى ذلك ! الرحمة يارب.. فالصداع يكاد يفترس رأسى بلا هوادة .. !!

لا أدرى كم من الوقت مضى وأنا على هذه الحال ..عندما أفقت على فحيح أقدامه .. نظرت ناحيته .. فانتابنى شعور بغربة عنه .. لم أعهدها من قبل .. فأدرت وجهى عنه .. وأغمضت عينى على فراغى الأسود .. حتى أننى لم أشعر بيديه وهى تعانق يداى .. لكن همسه كان قريبا من أذنى :

ماذا بك يا عزيزتى ..؟ إلى أين ذهبت بك الظنون .. ؟ هل ظننت أن هناك امرأة أخرى فى حياتى .. ؟

لم يطاوعنى لسانى للرد عن هذه الجرأة الوقحة .. وتركت لفراسته أن تدرك مدى استيائى .. فهم ما يدور بخلدى .. وأردف :

هل استهجنت سهرى ومناجاتى فى ضوء القمر .. يابنت الأربعين؟ .. أنسيت وصفك لى فى أول زواجنا .. بأننى فورة من المشاعر والأحاسيس؟ .. تدغدغ الحجر .. أين ذهب انفعالك بى وبأحاسيسى؟ .. من قال لك إن مشاعر الرجل تكبر مع جسده؟ .. إن مراهقة الرجال تنتهى عندما تجد رغباته من يشبعها .. وتعود عندما يفتقد هذا الإشباع ولو فى أرذل العمر .. لقد نسيتنى يا زوجتى واكتفيت بحكم الإعدام الذى تلخصه عبارتك الكئيبة

«إحنا كبرنا خلاص !» .. لا .. لقد استأنفت الحكم يا سيدتى وحصلت على البراءة .. ولكي أن تشاركينى إن أردت .. وإلا .. فظنونك التى لا أساس لها حتى الآن ستتحقق .. وسأبحث عمن تناصفنى مشاعرى .. ولوكانت فى عمر ابنتنا .. وليس على الجائع حرج فى أن يسرق ليشبع .. فكيف بمن سيشترى ؟ أرجوك يا رفيقتى أن تنزعى عنك ثوب الوقار المزعوم.. وتتخلى عن تجاهلك لانفعالاتى التى مازالت جياشة .. لا تجد من تناجيه إلا .. الليل .. والقمر .. وقهوتى .. وسمراء الطفولة .. ومراهقة الأربعين ... اللذيذة !!

كانت حروفه تترى فى سمعى .. كرباط العين الذى ينزعه الطبيب بعد عملية جراحية خطيرة .. وكانت الصورة الباهتة تتضح شيئا فشيئا .. إلى أن رأيته .. كما لو أننى لم أره من قبل .. رجل ناضج تعشقه أية امرأة .. كيف تناسيت أنه ما زال .. وأننى ما زلت .. وأننا ..

تساقطت دمعتان .. وحوطت كلينا ذراعان .. ورحنا فى نوبة رائعة .. على وعد هامس بأن نظل نراهق .... معاً .... إلى آخر العمر !!

بصمة

فى مصر الفرعونية .. كانوا يعتقدون - خطأ - أن الروح تعود إلى الجسد بعد « أربعين» الميت ...لكنهم لم يتركوا لنا معتقداتهم عما يعود إلي الجسد بعد «أربعين» الحي !!!

غباء الرجال ..

عندما ناقشنا في مقالة لنا .. سمة « التسلط » .. كأحد العيوب التى تكرهها المرأة فى الرجل بعامة .. وفى زوجها بخاصة .. لم نشأ أن نتعرض بقول .. لتلك الفئة القليلة من النساء .. التى تندب الواحدة منهن حظها .. إذا لم يرزقها الله بزوج «متسلط » .. يمارس عليها العنف بالقول والفعل .. بينما هى تجيبه بصوت ينم عن استمتاع .. « هل من مزيد »؟ .. !! .. ذلك أن نساء تلك الفئة .. مغرمات – مرضاً – بعشق الرجل من النوع «الحمش» .. الذى يهز «أبواب الدريشة» إذا سعل .. كما يقول شاعرنا الخليجى « عبد الرحمن رفيع » (والدريشة هى النافذة) وأظننا أمام هذا الصنف العجيب من النساء ..لانملك إلا الدعاء لهن بالشفاء .. وإلا .. فالدعاء بأن يرزقهن الله بالرجل .. الذى يسقيهن « التسلط » .. كأساً دهاقاً حتى الثمالة .. كى ينعمن ويسعدن ويستمتعن .. فالنساء فيما يعشقن « ملل ونحل » .. والمجانين كما تعرفون فى نعيم .. و« المجنونات » أيضاً..!!

أما الصفة الثانية .. التى تمقتها المرأة .. أية امرأة .. فى الرجل .. خصوصاً زوجها .. فتفضحها حكايتى التالية .. عن واقعة حقيقية حدثت فى طفولتى .. فإليكموها :

« كانت جارتنا فى قرية طفولتى .. شديدة المراس مع زوجها .. وكنا نسمع كبارنا .. وهم يستهجنون سلوك تلك الجارة الشرسة .. التى تستغل «طيبة » زوجها .. فتعامله بقسوة وفظاظة لاتليق بأنوثتها .. ولا برجولته .. وكانت هى تعرف هذا الذى يقال عنها من جيرانها ومعارفها .. وقد بح

صوتها وهى تحاول إقناع المحيطين بها ممن يشهدون استخفافها بزوجها .. بأنه يستحق أكثر من هذا الذى تعامله به .. ولكن من دون جدوى .. إلى أن جاء إلى منزلهم ذات يوم مشتر لجاموستهم .. وكعادة الريف .. حضر بعض الجيران ليكونوا وسطاء خير إذا تعثرت الصفقة .. وانتصب « وابور الجاز » بين الضيوف .. لإعداد كوب الشاى الذى لايملك الفقراء مثلهم غيره واجباً للضيف .. واحتدم القول فى ثمن الجاموسة .. وانتهى الحاضرون إلى الاتفاق مع زوج الجارة .. على أنّ ثمنها هو ثلاثمائة جنيه عداً ونقداً .. فإذا بالجارة تنادى زوجها من وراء حجاب .. وتهمس له بقول رأت أنه سيرفع ثمن الجاموسة فى نظر مشتريها ..فاستمع لها زوجها .. ثم عاد .. ووقف بين الحاضرين وكأنه خطيب حديث العهد بالمنبر .. وقال بصوت جهورى .«اسمعوا يا جماعة .. احلف لكم بأغلظ الأيمان .. أن هذه الجاموسة .. حامل .. !! « فاعتدل المشترون فى جلستهم.. وتبادلوا الرأى طويلاً .. ثم قال متحدثهم .. «طالما أن الأمر كذلك .. فإننا سنشتريها بأربعمائة جنيه..» وبإشارة من امرأته الواقفة بطريقة تسمح برؤيته لها ولاتسمح للضيوف بذلك .. بارك لهم الرجل الصفقة .. وانصرفوا ساحبين خلفهم الجاموسة مشيعة ببعض دمعات الجارة.. لتقول للناظرين شيئاً عن وفائها .. حتى .. للجاموسة.. !!

وفى الأسبوع التالى .. جاء لإحدى بنات هذه الأسرة خاطب .. وقال أهل الخطيب كثيراً فى المهر والشبكة .. وانتهوا إلى أن شبكة الابنة خمسمائة جنيه .. ومهرها ألف جنيه بالتمام والكمال .. فإذا بصاحبنا يقف بينهم بفخر وأنفة .. ويطلق كلماته على السامعين كرصاصات .. حالفاً بأغلظ الأيمان أنها حامل » ..!! .. فنظر الحاضرون بعضهم إلى بعض ثم

قاموا منصرفين لا يلوون على شيء .. يضربون كفاً بكف حسرة على ذلك الأب الذى بالتأكيد أصابه مس من جنون ..!! عند ذلك خرجت جارتنا إلى الشارع وأطلقت صراخاً طويلاً وعويلاً متقطعاً .. استدعت به الجيران ، وجيران الجيران .. وكل من يلومها على تعاملها القاسى مع ذلك الزوج الغبى .. قائلة من بين حشرجات نحيبها .. « تعالوا وانظروا ذلك الرجل الغبى .. الذى لا يعرف الفرق بين حمل الجاموسة .. وحمل البنت «البكر» .. تعالوا يا «لائمين » .. قدموا لى العزاء فى زوجى .. الذى سترت غباءه منذ زواجى .. ويأبى هو إلا أن ينشره على الناس .. هل عرفتم الآن .. لماذا أكرهه .. ولا أطيق رؤيته ..؟

ومنذ ذلك التاريخ .. واشتهر صاحبنا أو جارنا الغبى هذا بين الناس باسم.. « أبو جاموسة » .. وحفظت أنا الحكاية فى ثنايا ذاكرتى الغضة .. لأرويها لأولئك الأزواج الذين قد لا يجدون سبباً لكره زوجاتهم .. برغم أنهم يرون أنهم لايقصرون فى « تمويل » العملية الزواجية بإسراف .. يستنكرون معه نكرانها للجميل وعدم تقديرها للزوج « الممول » أرويها ليبحثوا فى دفاترهم عن سلوكيات من هذا النوع .. الذى يجعل زوجة واحدهم .. ولو كانت فى قبحها كـ « القردة » ..تقطع سلاسلها وتهرب من تلك « الجبلاية » الفخمة التى تجمعها معه داخل أسوارها !!

انه الغباء أيها الأزواج .. تلك السمة الكريهة التى تمقتها المرأة فيكم .. ولعل الأذكياء منكم يعرفون معى أن هذا الغباء ليس نوعاً واحداً .. بل هو أنواع وأشكال .. فهناك الغباء العقلى المعروف .. وهناك الغباء الاجتماعى .. وهناك الغباء الثقافى ..وهناك الغباء الإدارى .. !!

والمرأة مخلوق يعرف تماماً قدر الذكاء الفطرى الذى فطرت عليه ..

لتكون على الصورة التى تؤهلها لحسن فهم الزوج وحسن تنشئة الأبناء .. كمهمة إنسانية أصيلة خلقت من أجلها .. لكنها .. لديها الاستعداد الكامل للتنازل عن هذا العبء - عبء إعمال العقل بكامل طاقته لتتفرغ للاستمتاع بأنوثتها والإحساس بأنها امرأة ضعيفة « تحتمى » بظل رجلها - إذا هى أيقنت أن هذا الرجل قادر على احتواء ذكائها بعبقريته .. وعلى الهيمنة على ضعفها بقوته .. وعلى إيقاع أنوثتها فى « المجال المغناطيسى » لرجولته..!! .. إنها تجتهد لتحقيق ذلك الاختيار « مطبوعاً » فى الرجل .. فإذا لم يحدث .. اجتهدت كى « تصنعه » .. لتقول بفخر .. « أنا صنعت هذا الرجل » ..فاذا لم يحدث .. وأعيتها الحيل أمام غباء « حضرته » المستعصى .. قررت أن « تمنحه » كراهيتها بنفس راضية .. لامكان فيها لـ« تأنيب الضمير » ..!!

فمن منكم أيها السادة الرجال .. مارس تقييماً منصفاً لشخصه الكريم .. وتوصل إلى أن زوجته أعلى ذكاءً منه .. فقرر أن يحتل فى المنزل المكانة التى يؤهله لها ذكاؤه المتواضع .. وقرر أن يتنازل طواعية عما يمكن تسميته «تسلط الغبى » أغبى أنواع التسلط .. وأسوأ أنواع « الغباء » ... من منكم؟؟ أم أنكم تقولون الآن بعنجهية ..بأنكم « أكمل عقلاً » من المرأة مهما بلغ ذكاؤها .. لأنهن جميعاً «ناقصات عقل .. » فتقدمون بذلك دليلاً جديداً على « غبائكم » ..حتى فى فهم معنى حديث رسول الله ﷺ.

بصمة

امرأة «جميلة» ..فى كنف رجل «غبى» قمة «الإذلال» .. لكليهما..!!

أبو العيال وهمومه !!

حين تسافر الشمس فى رحلتها البعيدة.. ويدق الليل الساكن أبوابنا .. وتهجع الأفراخ إلى خبايا الأعشاش .. ويهرع الأطفال إلى عيون النساء .. ويحتضن الصمت واحدنا ليكرهه على مناجاة صداه .. ويفسح الظلام له فى الأذن مكانا ليقول كلمته المسموعة .. عندها .. تتقافز فى الصدور الآمنة ، أفكار الهم الساكن فيها .. وتتلاعب برباطة جأش العقول .. أوهام الأمنيات المسكونة بها .. ونبحث بالفطرة الخائفة .. عن أمان الأنيس الجليس .. عن الضلع المنزوع من جوار القلبْ .. ليرد على القلب – فى ليل الذعر – سكينته .... فيأتينا صوتها .. صوت الوهج المطمئن .. اللابس ثوب حياء الهمس المكنون .. المشمر عن سواعد اللمس الحنون .. المطارد لجحافل الهم الخشن .. بوميض القول الناعم :

* أما لليل المهموم من آخر .. يا حبيبى .. ؟

* ومتى كان لمثلى .. فى رحاب مثلك .. يا حبيبتى .. أن يغادره ليله..؟

* مدح هذا .. يا قرة العين .. أم ذم .. متخف فى رداء مدح ..؟

* حاشاى ياليلاى أن أذمك .. فليلى حقا طويل .. ليتيح لنجومه وقتا.. تتأمل فيه .. بديع خلق الله من نجمات البشر أمثالك .. وليلى حقاً مهموم.... ليمنحنى وقتا .. أفكر فيه .. كيف أجعل من غدك .. روعة تفوق روعة أمسك ... ؟

* هذا كثير يا حبى الأوحد .. ورائع يا واحد قلبى .. لكننى أستحلفك أن تدع عنك هذا الآن وتخبرنى .. ما الذى يؤرقك فى هذه الليلة .. ؟

* الحق أنى مهموم منك بك .. بأولادى منك .. مشغول بأمر فلذات كبدينا ...« أقلب أمرى لأرى لى راحة »

أتساءل عمن لهم بعد الله بعد رحيلنا .. وأتساءل كيف نسرف فى إمتاعهم كل يوم .. بكل ما يريدون .. نسرف إلى حد أننا لا نوفر مما نكتسب في يومنا قوتا لغدهم .. من دون أن نفطن إلى وجوب أن نتركهم ولهم من المال ما يعينهم على العيش الكريم .. أن نتركهم أغنياء .. فهذا «خير من أن نتركهم عالة يتكففون الناس» .. أليس هذا هما .. يستحق – من أجل عيون أولادى منك – إن يشاركنى هجعتى .. ويقض مضجع ليلى؟؟ !!

* الله الله.. ياأبا العيال .. هاأنذا قد أعطانى ربى عمراً .. لأرى اليوم الذى تفكر فيه فى أمر غد أبنائك .. بعد أن عاشرتك عمرا .. تعيش فيه يوماً بيوم .. وترفض أن يكون لأمر غد مساحة للتفكير عندك .. الله الله ياصاحب « الهموم » .. !!

* حتى أنا يا أم « الزينة » .. لم يخطر ببالى أن يأتى ذلك اليوم .. الذى تطاردنى فيه أفكار من هذا النوع .. لكننا رعاة على رعية .. مساءلون عنها.. فكيف لا يشغلنا أمرهم فى غيابنا .. مثلما يمتلك علينا أمرهم كل وجودنا.. ؟

* لست معترضة على تفكيرك الذى ما عهدته خائبا قط .. لكن ذاكرتى تستدعى الآن قولاً لأمى – يرحمها الله – عندما كانت ترانى أنهك

تفكيرى فى التخطيط لأمور مستقبلية .. فقد كانت تقول : « يابنيتى.. عندما تكونين صاحبة الملك .. فلك أن تنظميه كيفما تشاءين ».. وأنا وأنت نعرف أن الملك .. لله وحده .. لذا فما عليك الآن إلا أن تتوكل على الله وتنام .. وتدع الملك للمالك !!

* أخشى – ياكل الناس – أن تخلطى بين ضرورة التوكل على الله .. وبين ترك الأمور تجرى جزافيا برغم القدرة على التدخل وتغيير مجرى الأحداث ، وهذا ما يعد تواكلاً .. وليس توكلاً على الله ..،وما أبعد الفرق بين التوكل ، والتواكل ؟!

* عفواً – يا عمرى – أنا ما قصدت هذا .. لكن ما أقصده هو أن الله قد كتب لكل إنسان حاله من سعادة أو شقاء منذ ولادته .. ولو أن الله قد أراد لأبنائك شقاء.. فإن ما ستتركه لهم من مال لن يغير بالتأكيد ما قدره الله لهم .. الشيء الوحيد الذى تستطيعه لهم ،هو أن تتقى الله .. واقرأ معى قول الله سبحانه .. ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٩) ﴾ [النساء: ٩] .

* لا.. لا.. يا رفيقتى .. فلست أرى تعارضا بين أن نكون على تقوى لننفعهم .. وأن نترك لهم ما يعينهم على معيشتهم .. فى هذا الزمن الصعب!!

* حبيبى .. هناك قول لعمر بن عبد العزيز .. عندما سأله أحدهم أن يوفر شيئا لأبنائه من بعده .. فقد أجابه .. « يا هذا .. إما أن أتركهم أتقياء .. فالله كفيل بهم .. أو أن أتركهم أشقياء .. فلا يجب أن أترك لهم من المال ما يعينهم على شقائهم »

* ألا ترين – ياذات الدين – أن إعانتهم على البدء المستريح .. وإعفاءهم من عناء تكوين « البنية الأساسية » لحياتهم .. فيه من الخير لهم ما فيه .. ؟

* وهل نسيت – يا عصامى – أن أباك لم يترك لك شيئا .. وقد بدأت معى من الصفر إلى ما أنت عليه الآن من خير بفضل الله الذى أراد لك ذلك .. وهل نسيت أيضا أن ابن عمتك قد ورث عن أبويه مالاً كان مثار حسد الجميع .. وقد أضاعه كله على ملذاته وشهواته .. لأن الله لم يكتب له أن يكون إلاهكذا ؟!!

* أنهكتينى يا « فتاة » .. الحق أننى غير قانع كثيرا بما تطرحينه .. فما كانت قوانين الميراث الإلهية إلا تأكيدا لضرورة أن نترك لأبنائنا ما يبدأون به.. ولذا كان للذكر مثل حظ الأنثيين .. لأن عليه « الباءة » التى تعينه على الزواج .. أما هى فسيأتيها من يحمل عنها مئونة البدء .. إنه القانون الإلهى – يا حبيبتى – الذى ما كان أبدا اعتباطا دون حكمة !!

* هأنذا أقنع للمرة الألف بعد نقاشك .. بما تطرح .. وها أنت ذا تعلمنى مثلما علمتنى كثيرا يا معلمى .. وإن كان للتلميذة أن تنصح معلمها .. فإننى أرجوك أن تتخفف .. وأن ترفع عن كاهلك الهم .. فهو أقوى جنود الله فى الأرض .. حتى لاينال منك فلا تمنحهم وتمنح نفسك لذة الاستمتاع بما يحققونه وأنت على قيد الحياة .. لم ينل منك الكبر والمرض والهم بعد .. ولنبدأ من الآن فى إعادة النظر فى إنفاقنا .. ببساطة لا نجور على حقنا – نحن وأبنائنا – فى الحياة .. من دون إفراط أو تفريط .. وسيقضى الله لهم ولنا أمرا كان مفعولا..

* يرحمك الله يا حسنة الدنيا .. وجعلك معواناً لى على الخير كله .. وبارك فيك وفى ذريتك .. آمين ..

* أحلام سعيدة .. وتصبح على كل الخير ..

* ولك .. مثلها . .

بصمة

الأبناء سيارة سباق .. وقودها تقوى الآباء .. لكن استخدام مفتاح التشغيل لبدء حركتها .. أكرم من استجداء من « يدفعها » إلى الأمام »!!

الزوجة .... الخرساء !!!

يشكو كل الأزواج – من دون استثناء – من « ثرثرة » الزوجات » .. إلى الحد الذى يشبه فيه البعض .. الرجل كثير الكلام .. بالمرأة !!! ... وهذه الشكوى قد تكون صحيحة تماما .. وقد يكون العكس هو الصحيح ... ومع هذا فإن شكوى الرجل « الثرثار » .. تظل قائمة من زوجته ، التى لاتتيح له – فى اللحظات القليلة التى « تثرثر » فيها – فرصة ممارسة هوايته فى إعادة ما سمعته منه آلاف المرات قبل ذلك .. وكادت تحفظه عن ظهر قلب!!!

وتشير بعض «عالمات » النفس .. إلى أن القدرات الكلامية عند المرأة ، أكبر منها عند الرجل .. بسبب تلك التربية «الطفلية » التى تسمح بالقدرات الحركية للولد ولا تسمح بها للبنت .. فلا تجد أمامها إلا« الرغى » والكلام لتفجر فيهما طاقاتها المكبوتة.. ثم تستمر معها هذه العادة إلى بيت الزوجية!!

ونستطيع أن نضيف إلى أخواتنا «العالمات » .... أن الذكور الذين يتلقون تربية صارمة ، لا تسمح بالقدر الكافى من الحركة واللعب الحركى ... يسلكون المسلك نفسه الذى تسلكه الفتيات فى موضوع « الرغى » !!!

وإذا سلمنا جدلا بما يقوله « السادة الأزواج » عن « ثرثرة » زوجاتهم .. ووافقنا على ما يدعونه من رغبتهم فى أن تصمت زوجاتهم – ليس إلى الأبد طبعا – ... فلماذا لا يوجد إقبال من إخواننا الراغبين فى الزواج .. على « الزوجة ..الخرساء » !!

إن المميزات التى تتوافر فى ذلك النوع من الزوجات ... قلما تتوافر فى زوجات أخريات ... فهن – ما شاء الله – لا يصدعن رأس الزوج بالكلام مطلقا .. ويؤدين ما عليهن من التزامات ، دون أن تنبس « واحدتهن » ببنت شفة !!!.. هذا بالإضافة إلى الميزة الرائعة .. والتى تتمثل فى عدم قدرتها على « السمع » أيضا.. وبالتالى يستطيع الزوج أن يتحدث فى الهاتف إلى من يشاء دون أن تغار الزوجة أو تجرى معه تحقيقا عن فحوى المكالمة ، ومع من ؟ .. فإذا ما استفسرت منه – بالإشارة طبعاً – عمن يحادث فيمكنه أن يشير لها بسهولة نحو «رأسه »مثلا، بما يعنى أنه يحادث رئيسه فى العمل!!! كما يمكنه أن يندم أمامها جهاراً على اليوم الذى جمعه بها .. دون أن يخشى أن تجمع ملابسها وتغادر بيت الزوجية إلى بيت أبيها «العامر » !!!

والسبب الأخير أساسى وجوهرى .. فى إقناع الراغبين فى الزواج ، بضرورة التفكير الجاد فى الإقبال على الزواج من « زوجة .. خرساء » ... ذلك أن نسبة كبيرة من أسباب المرض النفسى للمتزوجين (والذى يؤدى آجلاً إلى الجنون) أنهم لايستطيعون أن يصرخوا فى وجه زوجاتهم لأى سبب .. بل إن البعض لايستطيع أن « يتمتم » .. مجرد تمتمة ... بأى اعتراض أو ضيق أو رفض !!! حيث يخشى أن تصل « همهماته » إلى أذنها (التى تتحرك طوال وجوده فى البيت ، فى كل اتجاه .. حركة رادارية) .. وساعتها .. ستنسيه اللبن الذى « رضعه » من ثدى أمه!!! أما الزوجة الخرساء ... فستكون سببا للحالة النفسيه الرائعة التى سيعيش الزوج فى رحابها .. خاليا من أية مكبوتات أو غيظ لا يستطيع إظهار شجاعته فى طرحه عليها .. خوفا من يدها « الطرشة » !!!

وبالطبع .. فإن هناك من سيعترض بالقول بأن الزوجة من هذا النوع ..

لها سلبيات تفوق المميزات التى أتحدث عنها ... منها أنها لن تُسمع الزوج الكلام المعسول الذى يشجيه .. وأنها لن ترد على التليفونات فى غيابه .. ولن تحكى له حكايات شهرزاد التى ينام على « حفيفها » ... بالإضافة إلى اضطراره إلى تعلم لغة الإشارة .. ليسهل تفاهمه معها !!!

إن هذه العيوب – إن صح أنها عيوب – تتضاءل أمام المميزات العظيمة التى ذكرناها ... ويكفى زوج الخرساء راحة ... أنه سيضمن ألا يقاطعه أحد أثناء حديثه .. كما سيضمن ألا يكذّبه أحد عندما يستعرض «عنترياته» اللامعقولة .. لسبب بسيط .. هو أن مستمعته الوحيدة ... لاتسمع !!!

يقول علماء النفس .. بأن الجانب الانفعالى يزداد بدرجة كبيرة .. عند أولئك الذين لايملكون تنفيذ السلوك المعرفى (اللفظى) .. وهذا المبدأ النفسى .. ينبئ بدرجة عالية من «الانفعالية» لدى الزوجة الخرساء .. مما يجعل التنبؤ بسلوكها فى حالة وصولها لدرجة من الضيق والغيظ من زوجها.. مسألة صعبة جدا .. وهذا هو الجانب الوحيد الذى نخشى منه على أزواج الخرساوات ... فهى – ربما – تخطط للخلاص منه .. وتستعين على قضاء حوائجها «بالكتمان» الذى لاتملك غيره .. وعندها ... ربما تمنى الزوج .. لو أنها كانت ... «تتكلم» ..!!!

بصمة

ما أجمل أن تَنذر الزوجة يومًا كل أسبوع .. للصوم .. عن الكلام أمام زوجها ... بشرط ألا تعوّضه فى الأيام الأخرى !!!

تسلط الرجال ..!!

لأن الخلق من رجل وامـرأة لم يبلغ حـد الكمـال .. كـمـا أراد لهم خالقهم لحكمة يعلمها .. نظنها - والله أعلى وأعلم - حكمة الحث على السعى نحو ذلك الكمـال المنشود .. فإن اليقين « المتيـقن » .. أن لكل الرجال عيوباً .. تباعد بينهم وبين الكمال .. مثلما أن لكل النساء عيوباً..!! وبعض تلك العيوب ظاهر .. وبعضها الآخر مستتر .. وبعضها عيوب يعرفها الأبعد .. وبعضـها يعرفها الأقرب .. وبعضـها لا يعرفها إلاصاحبها ... وبعضها مجهول حتى لصاحبها .. !! ويخطىء كل الخطأ من يحاول أن «يعير» صاحب العيب بعيبه ... كما يخطىء من يفكر فى أن « يعريه» له .. فقد قال « مترنيخ » رئيس وزراء النمسا فى القرن التاسع عشر .. «أنت لاتستطيع أن تدرك مدى ماتثيره من حقد محموم فى نفوس أولئك الذين تكشف لهم مظهراً من مظاهر غفلتهم .. أوغبائهم .. أو جهلهم ..» !!! .. لكن الأفلح والأصـوب .. هو أن «نعرف » تلك العيـوب والأخطاء .. ثم نتحين فرصتنا فى «طرحها» .. ثم طرح « مـقـابلاتهـا »من المزايا.. على استحياء « ذكى » وبـ « تعميم » فطن .. لاتنال من قدر صاحبها أو صاحبتها .. حتى لاتجتمع علينا عيوبه .. و .. «عداوته » ....!!

ولأن أصـدق عـيـوب الرجـال ... هى مـاتطرحـه « نسـاؤهم اللائى يحببنهم» .. ذلك أن الحبيب لا يرى حبيبه إلابعين الرضا .. التى هى « عن كل عيب كليلة » .. فإن الخطوة الاولى هى أن يتأكد لنا أولا حبها له ..

لنتلقف ما تطرحه بعد ذلك من عيوبه.. بدرجة عالية من الموثوقية .. لنناقشها على أنها حقائق .. لا تقبل التسفيه الذى يمارسه أصحاب العيوب على منتقديهم ..!!

وكثيرا مانسمع عن « هائمات » بأزواجهن .. هيام القتيل بقاتله ..! ومع ذلك .. أقصد .. ومع فرط حبهن هذا الذى يجعلهن يقبلن المحبوب «على عيبه » .. فإنهن كثيرا ما يفضين بـ «قائمة » لابأس بها من النقائص.. ويتمنين لو تخلى عنها رجالهن .. وليت رجالهن يعرفونها .. فيستبصرون أكثر .. ويتغطرسون أقل ..

وأول تلك العيوب الرجالية .. التى تدورعلى ألسنة صاحبات الحق الأصيل فى الاستمتاع بـ « اختفائها » .. هى التسلط .. ذلك الداءالرجالى « البحت » .. الذى يظن من يفتقده فى تعامله مع امرأته .. أنه أقل رجولة.. أو أنه – بدونه – لايستطيع أن « يملأ عينها » ..!!

والتسلط .. – لغة – هو « المبالغة فى ممارسة السلطة » .. وهو – من الوجهة النفسية – « التشدد فى الهيمنة على الآخر بالدرجة التى لاتسمح له بالإحساس بذاته .. وتقديرها » ويرى الكثيرون من علماء النفس والاجتماع.. أن التسلط – كسلوك – هو أمر محمود فى بعض المجالات التى نلاقى فيها من ينطبق عليه المثل الشائع .. « يخاف.. ولايستحى » .. انصياعاً للقول المأثور .. بـ « أن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن »!! كما أنهم يرون أنه أمر مقبول– على مضض –.. إذا كان صاحبه فى الأصل ذا « شخصية تسلطية » سواء مع امرأته .. أو مع غير امرأته .. فى بيته أو فى عمله .. مع أبنائه مثلما مع مرؤوسيه ..!! .. لكننا هنا نناقش تسلط الرجل .. ونعتبره أحد عيوبه .. عندما لا يكون .. إلامع امرأته وحسب

.. نعتبره عيباً عندما يكون تسلطاً من النوع الذى يعوض فيه الرجل .. مع امرأته.. إحساسه بالدونية والتبعية .. مع الآخرين .. !! ..

فالرجل الذى يتساهل – عجزاً – مع القريب والبعيد .. ثم يتسلط – تعويضاً – مع امرأته .. ويتصور– جهلاً – أن امراته لاتطوى قهرها بين جنبيها وهى ترى عجزه «مع الآخرين» .. كما يتصور – غباءً – أنها لاتنفث اشمئزازها من بين جنباتها وهى ترى تسلطه «عليها» .. ذلك هو الرجل الذى تكره امرأته معاشرته .. أو كما قالت واحدة من نساء «أحد المتسلطين» .. بالحرف الواحد .. « أقضى خمساً وعشرين ساعة .. كل «يوم» .. أبغض فيها ذلك النهار الأغبر الذى اقترنت فيه به .. »!! .. أو كما قالت إحداهن بعامية مصرية محببة .. تعبيراً عن ندمها على الموافقة على زواجها منه .. « كنتى فين يا «لأ » ..لما قلت أنا « آه » .. !!

فهل يعرف الأزواج « المتسلطون » .. هذا القدر من الرفض .. الذى تحمله لهم زوجاتهم .. أم أنهم يرتعون فى قناعتهم بأن الرجل لا يكون رجلاً إلا بقهر المرأة .. وأن النساء لم يخلقن إلا « ساحة » .. نفجر فيها نحن الرجال .. عقد النقص ومركبات العجز .. !!

الزوجة .. هى المكان الأوحد الذى يستطيع فيه الرجل أن يبكى .. دون أن يهتك سره أحد .. الزوجة .. هى الجدار الذى يتكىء عليه الرجل .. عندما تخذله دعاماته وتخونه قدماه .. الزوجة .. هى المغتسل البارد الذى يتطهر فيه الرجل .. عندما تتكاثف عليه أدران إنهاكاته .. ومثل هذا المكان.. الجدار .. المغتسل .. لا يجب أن نتسلط عليه .. ونمارس عليه تعسفنا الجائر.. لا لشىء .. إلا لأننا .. مجرد ذكور .. !! أما الرجولة التى يتشدق بها الجميع من دون استثناء.. فلها معايير وتبعات .. أهمها « الشهامة » مع

الغرباء .. فما بالكم بأقرب ذوى القربى .. أحق الناس بحسن المعاشرة .. !! وهل الشهامة إلا .. التراحم مع من تتولى أمره .. وتملك القدرة عليه !!؟؟

يبقى أن نقول شيئاً بحق أولئك النسوة اللآئى « يسلكن » مع أزواجهن.. بطريقة تقتضى التسلط معهن أو عليهن .. وإلا أفلت الزمام .. !! وإلى أزواج أولئك نقول .. « تسلطوا برحمة .. وتشددوا بشفقة .. واحذروا أن يقترب بكم التسلط من خط الفجور .. أو تقترب بكم الشفقة والرحمة من خط الهوان .. فدينكم دين «وسطية» .. و«لاتكن صلباً فتكسر .. ولا ليناً فتعصر» .. ثم ادعوا الله بعد ذلك أن يشفى زوجاتكم من داء «الاسترجال» !!..

بصمة

تسلط الرجل السوى .. يكون بممارسة «السلطة» فى موضعها .. لابممارسة «سلاطة» اللسان .. فى غير موضعها .. !!!

زوجى .. « بارد » !!

عجيب أمر ذلك الكائن الظالم .. الذى يتخفى داخله « الذكر » .. وراء ستار الاسم الحركى له «الرجل» .. عجيب أمره فى علاقته مع «الأنثى» التى يوقعها حظها فى براثن حياة زوجية معه .. والتى هى مجرد «أنثى» فقط.. من دون أية ادعاءات أو أسماء حركية .. فيمارس عليها «تسلطه» المريض الظالم ..!!

والأعجب فى تلك العلاقة .. أن امرأته .. إذا قاومت تسلطه هذا بتسلط مقابل .. كما تقتضى قوانين «الفعل ورد الفعل» .. شكا لكل الناس من أنها «امرأة مسترجلة» .. لاتعرف شيئا عن «ضعف» الأنثى الذى كان سيزيدها جمالا على جمال .. !! وإذا هى استجابت لتسلطه بخضوع .. كما تقتضى قوانين «التكامل» .. انفض عنها وزهد فيها .. وبحث عن أخرى تجيد مراوغته و «ملاوعته» .. فهو – ككل البشر – يعشق الممنوع «المتمنع» ..!! وإذا هى تركته يتسلط كما يحلو له..فلا هى تسلطت عليه .. ولا هى خضعت له ..بل تجاهلت تسلطه..وانهمكت فيما يشغلها بعيدا عنه.. حتى لاتهدم عشها بيديها .. عندها تعلو شكواه من أنها امرأة باردة .. جامدة .. مات فيها الإحساس .. وأصبحت أطلال امرأة .. لا تصلح أن تكون زوجة ....!!!

والأعجب من ذلك العجب أن هذا الكائن «الرجل» يمتلك – ولاندرى من أعطاه هذا الحق – حق نقاش أى قضية خاصة بينه وبينها .. مهما بلغت سريتها .. مع من يريد ووقتما يريد .. مستغلا حياءها وخجلها من الرد عليه – أو على الحكم الذى يختاره – بما يفحمه ويفند قضيته .. واسألوا

ملفات قضايا المحاكم الشرعية ..!!

وعليه فإن ذلك الرجل يكسب – دوما – قضيته مع تلك الأنثى .. بينما قدرها هى أن تظل الخاسرة دوما .. !!

هذا الرجل .. يمكن مثلا أن يقيم الدنيا ولا يقعدها لو اكتشف – فجأة.. ومن دون مقدمات .. وبعد فترة زواج تطول أو تقصر – أن زوجته ليست من ذوات الدم «الحار» .. بمعنى أنها – من وجهة نظره – امرأة جامدة .. باردة ..بينها وبين «الأنوثة» أمد بعيد .. فلا هى تنفعل بانفعاله .. ولا هى تقابل رغباته بما يجب أن تقابلها به .. ولا هى تناوش رومانسيته بنعومة لا تكتمل سعادته إلابها .. ولاهى تذرف الدموع مع ذكريات الوله والغرام مثلما تفعل كل النساء ..!!

أقول بأنه إذا اكتشف ذلك .. حقا أو باطلا .. فإنه يضرب عرض الحائط بسرية العلاقة الزوجية وحصانتها .. ويحكى مرتديا ثوب المظلوم .. للقريب والبعيد .. للأهل والغرباء .. عن بلواه فى أنثاه .. ومصيبته فى «حلاله» .. وعن أن البحث عن طريق للخلاص قد أعياه .. وعن أن تفكيره – الأخرق– لم يتمخض إلا عن حل واحد وأوحد ووحيد .. ألاوهو أن يتزوج عليها .. لأنه كما سيقول للناس .. «بات يخشى على نفسه الفتنة » ..!!

وأعجب من هذا الأعجب من العجب .. أنه يجد دوما جوقة من «الذكور» توافقه على رأيه.. وتؤازره فى قراره .. كنوع من «الدونكيشوتية» .. البديلة .. التى يمارس فيها البعض التمرد على «الضعف الشخصى» استعانة بـ «قوة الآخرين» .. فيما يسمونه فى نظرية التحليل النفسى بـ «الإسقاط» أو «التعويض» .. دون أن يفكر أحدهم فى أن يسأل «صاحبة الشأن» الأصيل.. عن «أقوالها» فيما هو منسوب إليها .. !! .. والحق أنهم يفعلون خيرا إذا لم يسألوها .. ذلك أن إجابتها – يرحمها الله – لن تزيد على طأطأة الرأس خجلا .. والصمت حياء .. ولعل لسان حالها الأخرس يقول له

وللسائلين: « وافضيحتاه » .. !!

تعالوا ننتقل إلى الجبهة الأخرى .. ونتساءل : ماذا لو أن المرأة .. هى التى تعاقر المشكلة ذاتها ؟؟.. ماذا لو أن الابتلاء حاصرها هى .. فرزقت برجل لا يعرف من الدنيا إلا طعامه .. وشهوته .. بعيدا عن الرومانسية والشاعرية والإحساس المرهف الذى يشجى المرأة ويفتح لرجلها عندها أبوابا من النعيم المقيم .. ؟؟ .. هل تشكو مثلما يشكو ؟؟ .. هل تحكى للرائح والغادى بلواها .. أم أنها ستنكفىء على نصيبها « الأعرج » .. ؟؟ .. وإذا افترضنا جدلا أنها وأدت الخجل وصاحبت الشجاعة .. فقالت .. وحكت .. وشكت .. فهل سيستمع لشكواها أحد .. ؟؟ أم أن كلمة «عيب» .. ستنتظرها على نواصى الألسنة .. لتلطم أنينها وشكواها .. من القريب والبعيد على حد سواء .. ؟؟

واحدة من النساء المبتليات فى أزواجهن .. خرجت على القاعدة .. وجاءتنى ذات يوم على استحياء تشكو .. « برود » زوجها وهى تنتحب حتى حسبت من فرط عويلها أنها جاءت لتنعاه لا لتشكوه .. !! فطيبت خاطرها ببعض كلمات طيبة .. نستدعيها فى مثل تلك الموقف – بحكم عملنا – لنخفف الأمر على صاحب المشكلة .. ولنفتح له بابا رحبا للدخول إلى الحديث الذى جاء من أجله ..

قالت وهى تشهق كالدجاجة التى ذبحت للتو .. « زوجى بارد .. جامد.. جلف .. خشن .. قاس .. وهو برغم سنوات الزواج الأحد عشر التى قضيناها صحبة .. لا يعرف كيف يفهمنى .. ويبدو أنه لا يريد ذلك .. !! فأنا – ياسيدى – امرأة رومانسية حتى النخاع .. تنساب دموعى حنانا لو ربتت يده على ظهرى .. بينما هو رجل – كما يدعى – عملى أكثر من اللازم .. لا تروقه دموع الضعفاء من أمثالى .. !! حياتى معه هى حياة النقيضين عندما يجتمعان .. فأنا أتمنى مثلا أن يمنحنى كلمة شاعرية

واحدة .. لأستجيب له ، وأبادله .. أما هو فيرى أن امتلاء ثلاجة منزلى بكل مالذ وطاب .. وتوفر المال فى حافظة نقودى .. كاف لأن أركع عند أطراف أقدامه .. !! أنا أتمنى لو أنه يغار على .. مثلما نتمنى نحن النساء أن يفعل معنا ولنا الرجال .. وأن ينفعل إذا التفت بغير قصد - إلى رجل سواه .. أما هو فيرى أن هذا لايعدو أن يكون « لعب عيال » .. وأنه رجل أعقل وأكبر من هذا بكثير ..!! أنا أتمنى أن أراه زوجا بكل ما فى الكلمة من معنى .. وهو يرى أن على أن أنتظره فى سريره لـ « أداء الواجب » .. !! أنا أعشق أن يطعمنى الطعام بيديه .. وهو يرى أن يدى تستطيعان أن تفعل ذلك .. !! أنا لا أمل أسأله كل يوم « هل تحبنى؟؟» .. وهو لا ينفك يجيبنى بامتعاض «أسئلة المراهقات فى مثل هذه السن لا تليق بك أو بى » .. !! أنا أدعوه دوماً ليتابع معى قصص الحب العفيف .. وهو يتعمد فى كل مرة أن يفضل مشاهدة مباراة فى المصارعة .. أو برنامجا عن عالم الحيوانات .. غير مكترث بمتابعتى أو رغبتى .. !! أنا أنتظر منه لفتته الرقيقة فى المناسبات والأعياد التى تمر بنا .. همسة أو لمسة حانية أو « كارت » رقيق تدغدغنى حروفه .. أما هو فيسألنى فى كل مناسبة بجفاء .. « هل هناك ما ينقصك أو ينقص بيتك؟ .. « ..!! أنا امرأة تعشق التغيير .. بدءاً من تسريحة الشعر له .. وانتهاء بمكان كل قطعة أثاث فى المنزل .. أما هو فلا هم له إلا التهكم على كل تغيير أجريه .. بالقول « أكيد دى تصرفات واحدة فاضية » ... باختصار .. أنا - ياسيدى - فى واد .. وهو فى سفح جبل خلف سبعة جبال تفصله عنى ..؟؟

فهل من الدين ومن العدل أن أستمر بصحبته .. !!؟؟

.... لم أحاول أن أنتقى كلماتى .. أو أرتب أفكارى للرد عليها ..

« لا ... ياسيدتى .. أقسم أنه ليس من العدل أو الدين .. فاللقمة تطعمها فى فم أهل بيتك صدقة .. كما يقول الرسول الكريم فيما معناه .. لا ..

ياسيدتى .. فهذا الذى تعيشينه انتحار بطىء .. لا يرتضيه منصف أو عاقل .. والرسول الكريم يقول بأنه .. « لاضرر ولاضرار ..!! »

ثم سرعان ما أدركتنى حرفتى .. فأصلحت بعض انفعالى الإنسانى «الفطرى» .. وغلبت على لسانى بعض الحكمة ..فواصلت ..

« ولكن ياسيدتى .. وآه من لكن تلك التى يجبرنا عليها الخوف على الحرائر من الضياع بعيداً عن سقف بيت آمن فى ظل رجل يقيها غوائل الدهر .. أقول .. ولكن الدنيا – ياسيدتى – لاتعطى لأحد كل شىء .. ولا تحرم أحدا من كل شىء.. وعليه فإن الذى حكيته لى هو بعض عيوبه التى لا تعجبك فيه .. ولا أظن أنه خلو من المزايا التى تعجبك .. فتعلمى أن تنظرى بـ « عدسات مكبرة » لمزاياه الأخرى ... وأن تنظرى بـ « نصف عين » إلى مثل تلك العيوب .. وبإمكانك أن تصنعى لنفسك – منفردة – عالما من الرومانسية تعيشينه بمفردك .. لترضى تلك الشاعرية داخلك .. ثم انتظرى يوما يأذن فيه الله له بأن يشاركك رومانسيتك .. يأذن فيه الله فيكافئك على أنك .. « رزقت مثله فصبرت » .. مع خالص مواساتى .. !!

بصمة

« قابل للكسر » .. عبارة مكتوبة على جبين المرأة.. لكن مشكلة بعض الرجال ..أنهم لا يجيدون القراءة ..!!

رجل « المرأة الواحدة » !!!

هل من الصعب عليكم أن تصدقوا .. أن هناك نوعا من الرجال .. لايستطيعون طوال حياتهم أن يحبوا إلا .. امرأة واحدة !! هل صادفتم رجلا يكتفي بواحدة .. ويرى فى معرفة امرأة غير امرأته .... أمرا ينال من شرفه وعرضه .. ؟؟ هل سمعتم عن ذلك الرجل الذى يحرص أيما الحرص .. كالنساء .. على عفته ..؟!

نحن على يقين من أن الكثيرين منكم .. سيؤيدون وجود ذلك النوع من الرجال .. بل وسيقرون بأنهم .. أو أنهن .. قد لاقوا بعض هذا الصنف .. لكن الذى نحن على يقين منه أيضا .. هو اختلاف تفسير كل منكم للأسباب التى تقف وراء هذا السلوك النادر .. الذى يبدو لنا ولكم – من فرط ندرته – غريبا فى وطنه ..!!

فمن قائل منكم بأن الرجل .. قد يكتفى بالمرأة الواحدة .. لضآلة رصيده فى بنك « الرجولة » .. والتى يرى معها .. أن « امرأة واحدة » ترضى به .. على حاله « المعدم » هذا هى نعمة من الله تستحق الشكر .. وليس أقل من أن يشكرها .. بالولاء لهذه المرأة القنوعة .. والامتنان لرضاها به .. ودوام الثناء عليها دون غيرها .. ما ظل فى صدره نفس يعلو ويهبط !!

ومن قائل بأن رجل المرأة الواحدة .. قد وجد فى امرأته ...... ذلك النموذج « الأمومى » المفتقد لديه منذ السنوات الغضة .. ذلك النموذج الذى عرف كيف يخاطب طفولته العطشى .. وكيف يحقق له .. إلى أبعد مدى .. حرمانات الماضى البعيد .. عطفا وحنانا .. وأيضا حزماً وتسلطاً .. لذلك تعلق بها تعلقا يكاد يكون .. « مريضا » .. فحال هذا التعلق دون أن

يرى غيرها من النساء .. ولو امتلكن من مقومات الأنوثة .. «المشهرة»... ما لا تمتلكه امرأته الوحيدة .. !!

ومن قائل بأنه نوع من الرجال .. « المعقدين » .. الذى حولته عقده و«كلاكيعه» .. على إثر خبرات قديمة .. محبطة .. إلى رجل يخشى مواجهة المرأة .. أى امرأة .. أو التفاعل معها ... وماتفاعله مع امرأته الواحدة.. إلى مجرد معايشة لأم العيال .. وست البيت .. والنصيب الذى لا يملك أن «يفر» منه .. فكيف « يسعى » هو بقدميه إلى امرأة أخرى .. حتى لو كانت هى.. صاحبة إشارة البدء !!

وهناك من يقول بأن رجل المرأة الواحدة .. هو رجل ساقه قدره .. إلى أعتاب امرأة .. متسلطة .. غيورة .. مرعبة .. تعد عليه أنفاسه .. وتعرف شاردته وواردته .. لذلك لم تترك له - بعد العشرة .. وتوابعها - ما يقوى به على طرق باب .. أو المرور بجانب سور .. امرأة أخرى .. ولو أعجبته .. ذلك أن « واحدته » .. ستعرف كيف تعرف .. سواء حكى هو لها .. « عبطاً » .. أو أخفى عنها .. « رعباً » .. ستعرف .. بقرون استشعارها التى لا تخيب ... وعندها .. « ياويله » .. يا سواد ليله » !!!

أعرف .. أعزائى القراء .. أن هناك تفسيرات أخرى على ألسنة البعض منكم .. ومنكن .. وأعرف أيضا أن بعض هذه التفسيرات .. قد تحركها وتزكيها خبرات شخصية .. وهزائم ذاتية .. أو انتصارات .. لكن ما أبحث عنه معكم .. هو المنطق « الموضوعى » الذى يقف وراء حركة أمواج مثل هذا الرجل .. التى تتجه نحو البر الواحد .. ولو ساءت رماله .. وقست شواطئه .. من وجهة نظرنا !!

إن للمرأة شرعاً رجلاً واحداً .. ومع ذلك لا نستهجن أن نرى بعضهن .. من الخائنات .. اللائى لايكتفين بـ « واحدهن » .. طمعا فى امتلاك جنتين أو ثلاث .. إلى أن تلفح وجوههن .. « جحيمه المستترة » .. فيرجعن

إلى عفتهن .. مكرهات !! ... بينما للرجل شرعا أربع نساء .. ومع ذلك تتملكنا الدهشة إذا عرفنا أن منهم.. من لا تسمح له عفته أن يتملك فائضا لامرأة أخرى .. غير تلك التى جعل نبضاته حكرا عليها ... حتى لو كانت لا تظهر له .. إلا بعض «نارها» !!

إن من يدعى .. من الرجال أو النساء .. بأن كل الرجال « عيونهم زائغة» .. هو مغرض وحاقد وجاحد ومتطاول ... فتلك فئة من الرجال .. لاتعدو أن تكون قلة .. وفوق أنها قلة .. فهم مساكين يستحقون الشفقة .. فقد ابتلاهم الله بنساء لم يشبعن لهم احتياجا .. فحاولوا أن يمدوا أعينهم إلى نساء أخريات .. متع الله بهن أزواجا غيرهم .. وهم يعلمون أن ما يطلبونه مستحيلا .. ماهم ببالغيه .. ولو بلغوه فدونه أخطار .. وذنوب .. !!

رجل المرأة الواحدة .. رجل سوى ..رجل المرأة الواحدة .. وسام على هيئة رجل ..يصلح أن تعلقه امرأته .. «الواحدة» على صدرها .. مثلما يحتويها هو « داخل صدره » ..

رجل المرأة الواحدة .. رجل يملك فضيلة « العفة » ... مثلما تملك المرأة .. فضيلة « الحياء » .. وينافسها بها ..

رجل المرأة الواحدة .. حبيب وفيٌّ أمين .. يحتاج نصرتكم وعونكم – لا تفسيراتكم وتفسيراتكن المريضة – فانصروه وأعينوه .. أعانكم الله !!

بصمة

رجل المرأة الواحدة .. رجل يحاول أن يكون رجلا بمعنى الكلمة .. في زمن .. تخلى فيه بعض النساء .. عن أن يكن نسوة .. بمعنى الكلمة !!!!!

الوصية ...!!

هناك أفكار تلح على فكر الكاتب بين حين وآخر .. يمكن تصنيفها تحت عنوان « أفكار مجنونة » .. لكن الأذكياء من الكتاب يئدونها في مهدها .. حتى لا تصبح مادة للتندر عليهم .. وعلى شطحاتهم «العاقلة» ..!!!

ولكنني - كأحد الكتاب الذين ليس لهم باع طويل في مجال الذكاء - سأطرح عليكم أحد تلك الأفكار التي تنتسب إلى النوعية سالفة الذكر .. وأرجو ممن لن تروق لهم الفكرة .. أن يعتبرها .. مجرد « شطحات أقلام ! »

وبداية أتساءل .....

هل فكر أحدكم فيمن سيقوم بدور الوصي على أولاده بعد وفاته ؟؟!!..
هل اختار أحدكم شخصاً من المقربين - الموثوق بهم - واتفق معه على أن يقوم - حال وفاته - بدور الوصي على أبنائه ... ؟؟!!!

هل فكر أحدكم في إعداد زوجته - تربوياً ونفسياً واجتماعياً - لتقوم بدور الأب مع أبنائه .. فيما لو حان الأجل - الذي قدره الله - ؟؟!!

هل جرب أحدكم أن يقوم بدور الوصي على أبنائه في حياته حتى لا يضيعوا - بعد وفاته - بين ذل اليتم .. وطمع أو جهل الوصي؟؟!!

أعرف تماما ماذا سيقول البعض الآن .. ولكن سامحوني - أعزائي القراء- في هذا الطرح المتشائم .. فأعمارنا جميعا .. صناديق مغلقة ..

وميقاتها فى علم الله .. والتفكير فى الأمر قبل وقوعه ، أمر يليق بمن يخططون لأمور حياتهم .. وحياة أبنائهم .. فماذا علينا لو تدبرنا أمر أبنائنا فى حياتنا .. لنتركهم – بعدنا – أصلب عودا وأكثر أمناً وأماناً بين أيد .. أمينة !!!

لماذا يحتفظ كل أب .. بالكثير من أسرار حياته بعيدا عن زوجته وأبنائه .. ليتركهم يمارسون حل الكلمات المتقاطعة بعد وفاته .. ويفكوا اللوغارتيمات التى يتركها من خلفه .. ميراثاً ثقيلا!!

لماذا لاتعرف زوجاتكم أرقام حساباتكم فى البنوك .. والرقم السرى للكارت الشخصى .. وديونكم ودائنيكم .. ومستحقاتكم لدى الآخرين..؟!!
لماذا لا يصحبكم أكبر أبنائكم .. مهما كان عمره .. إلى السوق .. ليعرف الجزار والخضرى والتاجر .. الذى تتعاملون معه ..؟!!

لماذا لا يوطد أحدكم علاقته بقريب .. ممن يرتضى دينه .. ويتعاهدان على أن يرعى أحدهما أبناء الآخر .. إذا داهم القدر أحدهما فجأة .. ؟!!

لماذا لا تفكرون فى كتابة عدد من الموجهات .. التى تنصحون فيها أزواجكم وأبناءكم .. من بعدكم .. أن يتبعوها ويتنقبوا خطواتها ..؟!!

لماذا لا تتيحون الفرصة لأبنائكم أن يمارسوا إدارة شئونهم .. كاملة غير منقوصة .. فى ظل وصايتكم وتحت إشرافكم .. دون تدخل «استعمارى» ..... أو سلبية « تحررية » .. لتتمكنوا من مشاهدة صورة مصغرة لما سيفعله أبناؤكم فى غيابكم .. وتطمئنوا إلى جودة صناعتكم قبل نزول المنتج إلى السوق !!

ألم أقل لكم : إنها أفكار مجنونة ... ألم أقل لكم : إن من الذكاء أن

نزدرد بعض أفكارنا نحن الكتاب .. حتى لانفقد بعض قرائنا الأعزاء .. ولكننى .. أطمع فى أن تمارسوا مرة ... أن تأخذوا الحكمة من أفواه المجانين .. وأن تكسروا القاعدة .. وتقتحموا اللاتقليدى ... وتبتعدوا عن إدمان الأفكار «المعلبة» .. وتعملوا العقل فيما تسمعون .. من دون مصادرة على فكر أو فكرة .. ما دام لايتعارض مع «التنزيل » وعملاً بقول الإمام مالك رضى الله عنه .. وهو يشير إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. «كل قول يؤخذ ويرد .. إلا صاحب هذا القبر »

وإن أنس .. لا أنسى ذلك المنظر الذى حفرته طرافته فى ذاكرة طفولتى.. عندما توفى أحد أقربائنا .. وكنت أتابع بهلع أنا وأطفال الشارع عن قرب .. نحيب أبنائه وصراخ أهله .. ودراما المديح فى مناقب الرجل المخلص .. تنساب على لسان زوجته .. بحزن يقطع نياط القلب .. وإذا بامرأة تجر خلفها طفلة صغيرة .. تشوش بصراخها الحاد .. من أول الشارع .. على صوت الزوجة المكلومة .. وانتبهت الزوجة إلى تلك التى تنافسها فى إظهار الحزن على زوجها .. وأخذتها من يدها إلى داخل المنزل ... بعيدا عن آذان الفضوليين من الأطفال .. أمثالنا .. فلم نسمع شيئا .. لكننى سمعت أمى فى المساء... تفضى لأبى بسر المرأة المجهولة .. فقد كانت زوجته الثانية .. التى تزوجها منذ سبع سنوات .. دون أن تعرف زوجته الأولى .. المخدوعة !!!

كيف نتوقع من أبناء هذا الرجل أن يعرفوا كيف يشقون طريقهم فى الحياة .. وأبوهم لم يعرفهم .. حتى بأختهم .. ؟!! كيف نسى هذا الرجل أن يوما سيأتى .. يعرف فيه أبناؤه كم كان مخادعا .. حتى لمن سيحملون اسمه من بعده؟ .

لماذا لا نكون – نحن الرجال – كتاباً مفتوحاً أمام أبنائنا .. ليقرءوا فيه أبجديات الخبرة .. وبديهيات الحياة .. وألف باء الإخلاص والوفاء والحب .. ويتعلموا حروفه على يد مؤلفه .. لنستحق دعاءهم لنا بعد أن ينقطع عملنا.. أم أن للرجال رأياً آخر يرون فيه ستراً لأسرارهم أو .. لفضائحهم !!؟؟

نصيحة

الوصية .. ورقة عمل لتنفيذ مشروع .. لم يتم تدريب العاملين عليه .. وعلى الموصي .. أن يتوقع فشله!!

بين الذكورة .. والرجولة !!

هل حسبتم أعزائى الرجال أن مجرد « ذكورتكم » .. أمر كاف لاحتلال مقاعدكم فى عالم « الرجولة » ؟؟.. هل الذكورة في عرفكم مرادف لـ«الرجولة» ؟؟ .. هل كونك ذكراً.. يعنى - ببساطة - أنك .. رجل؟؟!!

من هنا نبدأ .. وهنا نتوقف .. فما سأطرحه عليكم من سفسطة .. هى فى نظر شخصى المتواضع .. سبب كل الاختلال القائم فى علاقتنا مع النساء .. زوجات .. أمهات .. أخوات .. زميلات .. جارات .. أو حتى .. بنات سبيل فمن ناحيتهن .. إلاّ قليلا .. فإنهن لا يرين إلا أن يكون «الآخر» .. رجلا.. وإلا .. فلا فضل ولا سبق ولا أحقية فى الهيمنة .. أو مجرد التفكير فيها .. !! .. ومن ناحيتهم .. إلاّ قليلا .. فإنهم يرون أن الاختلاف التشريحى الذى يتميزون به (وهو من التمايز بمعنى الاختلاف.. لا من الامتياز بمعنى التفوق) .. هو الأساس فى أحقيتهم فى السيطرة والسبق والقوامة .. فتنبثق حيثيات تفاعلهم مع النساء من مجرد كونهم ذكورا .. وهن إناث !! من هنا يأتى سوء الفهم .. وبالتالى .. سوء التفاهم.. بين المعسكرين .. فالذكورة فى نظر النساء .. ليست إلا « بيولوجيا » .. لاتقيم بمفردها بنيان رجولة .. ولاتشفع لأحدهم فى أن يطالب بحقوقه فى علاقته معها أو بها .. أو أن يحلم بخضوعها لذكورته .. واستسلامها لبيولوجيته .... فالمرأة لاتخضع .. ولا تستسلم .. ولاترضخ .. إلا «لرجولة الذكر » .. لالذكورة أحد زملائها من بنى البشر !!

الذكورة واقع يزاحمنا فيه .. كل خلق الله من الكائنات الأخرى .. فترى - إذ ترى - ذكور النمل ، وذكور الضفادع ، وذكور القطط ،

وذكـور الأرانب ، وذكـور العـصـافـيـر ، وذكـور الجـراد .. وحـتـى ذكـور الديدان.... إلى آخر قائمة عالم الذكور ، التى قد تحوى من «هم » أكثر ذكورة – وفحولة – منا نحن البشر !!! أما الرجولة فهى شأن خاص بنا ، ولنا ، ومعنا وفينا ، الرجولة .. السمات والسلوك .. التى فطرت المرأة على أن تباركها .. وتزفها إلى أنوثتها راضية مستبشرة .. الرجولة.. « الصناعة » .. لا الذكورة « سابقة التجهيز » !!

« بعضنا يذكر » .. عندما جرب أن يشحذ ذكورته فى مواجهة أنثى .. كيف لاقى الاشمئزاز والنفور والازدراء .. لكن « جميعنا يعرف » .. أنه عندما يجرب أن تكون رجولته رسالة وصل .. وأوراق اعتماد .. كيف تلاقيه مراسم الانبهار والتمنى .. ورايات العناق حول الأعناق .. لذلك الرجل الذى خاطب فطرتها .. فانصاعت راضية .. أقول فطرتها وأنا أعنيها .. وفى سمعى صوت ابنة نبى الله شعيب .. وهى تحث أباها على استئجار سيدنا موسى .. منبهرة مستبشرة

﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

تلخيص واف « للرجولة الحقة .. القوة والأمانة .. فإن قال أحد بأن بعض « قوة الرجل .. «ذكورة أو وراثة » ، قلنا له بأن « معظم « قوة الرجل» بيئة وصناعة » .. فإن كانت قوة البنية جانباً .. فإن قوة الشخصية وقوة الإيمان وقوة الشكيمة وقوة الرأى والحجة .. جوانب .. بالإضافة إلى أن « كل » أمانته مصنوعة .. أمانة فى المعاشرة .. وأمانة فى صون المال والعرض والأرض .. أمانة لا تخشى معها المرأة غدر ..

تلك هى الرجولة بسمتيها الرائعتين .. السمتان اللتان تأكدتا فى آية أخرى من القرآن العظيم ليبين الأمر الحق .. الذى لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .. تأكدتا عندما قدم أحد الجان لسيدنا سليمان ..

حيثيات تكليفه بمهمة الإتيان بعرش بلقيس ملكة سبأ .. ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل: ٣٩].

.. هكذا معيار الموثوقية .. وهكذا حيثيات التكليف .. وهل تبحث المرأة فى الرجل إلا عن الموثوقية .. فى قدرته على حمايتها ، والموثوقية فى استئمانه على عرضها فى حبه .. وفى هجره ؟!!

أذكر واقعة تشفيت فيها فى أحد أبناء جنسى .. عندما تطاول بذكورته الممجوجة على امرأة فى الطريق العام .. فما كان منها إلا أن صفعت ذكورته على « وجهها » .. بين دهشة الجميع ، وصراخه : « كيف لامرأة أن تلطم رجلا » .. ودفاعها المفحم : « لو كنت رجلا .. ما فعلت .. ولا فعلت » !!!

ها قد قالتها أخت الرجال .. فمتى يفكر البعض فى أن يكونوا رجالاً .. يعرفون للرجولة حقها ، من الكبرياء والعفة والوقار .. لا أن يكونوا مجرد ذكور .. تسول لهم أنفسهم فى كل حين أن يمارسوا ذكورتهم .. على أنها رجولة .. لم يجشموا أنفسهم عناء «صناعتها» !!!

بصمة

هل عقمت قواميس اللغة .. عن أن تنجب مصطلحاً نسائياً .. مقابلاً لمصطلح « الرجولة » .. مثلما أن مصطلح « الأنوثة » يقابل مصطلح « الذكورة » .. أم أنها أرادت ذلك عمداً .. لتقول لنا بأن المرأة مجرد .. أنثى .. وحسب ؟!!

مثلث الرعب ..!!

ليس هو - كما سيتبادر للأذهان من الوهلة الأولى - مثلث «برمودا» الشهير .. الذى لم تدخله طائرة أو باخرة إلا واختفت عن شاشات الرادار إلى مصيرها المجهول .. وليس هو مثلث «فيثاغورث» الأشهر .. الذى يتطاول فيه مربع الوتر على كل من مربعى القائمين اللذين هما أصل المثلث «تسْعينى» الزاوية ..!!.. لكنه مثلث من نوع آخر .. مثلث إنسانى غريب ، ومريب فى الوقت ذاته .. مثلث نقلنا «أحد أضلاعه» عن الغرب ضمن مانقلنا عنهم .. دون أن ندرك أننا لسنا مؤهلين - أخلاقيا وقيميا - للسلوك بالطريقة التى يسلكون بها .. ودون أن ندرى أننا نؤجج - بهذا السلوك المستورد - النار تحت الماء الساكن ..!!

إنه مثلث الرعب .. مثلث « الزوج - الزوجة - الصديق » ..!!

* * *

لقد قاومت مرارا رغبتى فى القول بأن علينا أن «نفتش عن الصديق» .. كبديل أكثر واقعية للمأثور القائل .. «فتش عن المرأة» ..!! دون أن أدرى أسبابا لمقاومتى هذه .. التى ربما كان منها قناعتى بأن الناس يعتقدون - ولايزالون - بأن الصديق هو آخر من يخون حق الصداقة .. وربما كان منها إيمانى بقناعة الناس بأن الزوجين أذكى - وأحرص - من أن يصادقا إنسانا.. لا تتوافر فيه مقومات الأصالة وحسن الخلق .. ليدخلاه بيتهما ..!!

وبداية فإننى أكاد أجزم بجزئيتين وثيقتى الصلة بموضوعنا قبل الخوض

فيه :

أولهما : أن الصداقة فى مفهومى واعتقادى – وباستثناء من يظلهما الله بظله يوم لاظلّ إلاّ ظله .. وهما «الاثنان اللذان تحابا فى الله فاجتمعا عليه وتفرقا عليه» – لاتعدو إلا أن تكون «مصلحة» بين اثنين .. يحقق كلاهما من تلك العلاقة القائمة بينهما قدرا من «الكسب» لكليهما .. ولهما كل الحق فى أن يسميا تلك العلاقة ماشاءا لها من أسماء .. أخوة .. أو صداقة.. أو عشرة .. أو أى مسمى آخر ..!! غير أنه .. وعندما تنتفى مصلحة أو كسب أحدهما أو تتضاءل – لاحظوا أنه ليس بالضرورة كسبا ماديا .. فالكسب المعنوى فى تلك الحالات أقوى – .. فإن أواصر تلك العلاقة «أو مايسمونه صداقة» تضعف تدريجيا إلى أن تنفصم عراها .. وعليه فإنه لاتوجد – بين الناس أو بين الشعوب – صداقات دائمة بل توجد مصالح دائمة ..!!

وثانيهما : أن المرأة – أية امرأة – بفطرتها وبماهى مجبولة عليه .. لايمكن أن تقبل أن يتدخل «صديق الزوج» فى خصوصياتهما الأسرية والزوجية .. ولا يمكن أن ترضى بذلك .. إلا إذا كانت «مائلة» نحو هذا الصديق بدرجة أو بأخرى .. ونحن لن نقول مسبقاً بأنه «ميل مشبوه» .. فالأمور فى بداياتها لاتكون هكذا مباشرة .. لكنه ميل بمعنى «الاستلطاف» و «الإعجاب» و «الثقة» .. بصفاته التى يطرحها فى تعاملاته معهما .. بوفائه لصديقه .. بشهامته فى المواقف الحرجة .. برجولته عند الشدائد .. إلى آخر تلك الصفات التى يبديها ذلك الصديق – عمداً – أمام امرأة صديقه «الجميلة» .. !! .. وبالتالى فإن قبول المرأة بهذا التدخل – أو التداخل – والرضا به .. هو بداية السقوط فى مثلث الرعب ..!!

فإذا ماسلمنا جدلاً بهاتين الجزئيتين .. فإن بإمكاننا أن نطرح الجزئية «المؤثرة» فى الموضوع برمته .. والتى يلخصها التساؤل التالى :

هل الزوج يدرى بذلك الاستلطاف والإعجاب من ناحية زوجته بصفات ذلك الصديق أم لا ..؟؟!! .. وبرغم إمكانية أن نستعير هنا بيت الشعر القائل :

إن كنت لاتدرى فتلك مصيبة أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم

غير أننا لن نفعل .. بل نستطيع القول بأن الزوج فى أغلب الأحيان «يدرى» به .. نعم يدرى به .. بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا بأنه قد يحرص على وجوده .. بل وينقل لها بنفسه تفاصيل تلك الشهامة والمروءة والوفاء .. التى لاتراها لأنها حدثت بينهما خارج المنزل أو حدثت بينهما قبل زواجه منها .. وذلك لاعتبارات – وبعيداً عما فى نفوس سيئى الظن – تتعلق بحرصه على أن يؤكد لزوجته أنه لايصادق إلا النوعيات المتميزة سلوكا .. وتتعلق بحرصه على أن يؤكد لها أهميته ومكانته و «غلاوته» على أصدقائه .. كما تتعلق بحرصه على إقناعها بأن عليها أن تثق بصديقه كثقتها به بالضبط .. فالصديق «ابن ناس» .. والزوج من الذكاء والفطنة بحيث لا يسمح أن يُدخل بيته إلا من يثق بخلقه .. وبالتالى فإن إعجابها بصفات الصديق هو إعجاب بحسن اختيار الزوج فى المقام الأول .. (وبالطبع فإن المرء على دين خليله .. وبالتالى فالزوج على الشاكلة نفسها) .. !!

فإذا ماعرجنا – عروج الكرام – على اعتبارات سيئى الظن .. فيجب أن نقرر بشجاعة أن هناك نوعيات من الأزواج – قليلة نعم لكنها موجودة بالتأكيد– ترى فى صديقه من الصفات التى تستحق الإعجاب بينما هى لاتتوافر فيه هو .. ولأنه يتمنى – على المستوى اللاشعورى – لو أنها كانت

فيه .. فإنه – وكحالة مرضية عافانا الله – «يتلذذ ويعجب» بها فى صديقه.. وكأنه يستجيب لها بالجزء «الأنثوى» فيه كرجل ..!! ومثل هذا النوع لايرى غضاضة فى أن تعجب امرأته بصفات هذا الصديق .. وربما لايجد غضاضة فى أن يشاركها – صراحة – هذا الإعجاب .. بل لاغضاضة عنده فى أن يغض الطرف عن تلميحات الإعجاب بينها وبين هذا الصديق .. وكأنه يمنحها – حبّاً أو ضعفاً – بعض ما تتمناه .. مثلما يمنحها الهدايا والمجوهرات .. وكل ما من شأنه أن يسعدها ويدخل البهجة إلى قلبها ..!!

كما أننا سنترك جانبا أيضا .. أولئك الأزواج – وقى الله مجتمعنا شر هؤلاء وأولئك وهم ندرة لكنها موجودة أيضا – الذين يعانون من «نقص ما» فى علاقتهم بزوجاتهم .. يجعلهم «مكرهين» على ذلك التغاضى عما يلمحونه من إعجاب الزوجة بالصديق .. عجزاً عن مواجهتها بسوئها لتواجهه هى بـ «نقصه» .. أو كأن واحدهم يقول لنفسه سرا .. «أليس خيرا لى أن أعرف .. من أن أكون آخر من يعلم؟» ..!!

وعودة – بعيدا عن تلك الأنماط الشاذة رجوليا – إلى الصنف الذى يخلو من العلل النفسية .. لكنه يصادق و «لايدرى» بما يحدث .. فهذا هو الذى توقعه حسن نيته – وافتقاده منذ صغره للمشورة عند أهله وأقربائه – فى شرك نقل كل صغيرة وكبيرة عن زوجته إلى صديقه .. ربما ليأخذ رأيه .. وربما ليستعين به على حل خلاف قام بينهما .. وربما لتعوّدهما ألا يخفيا عن بعضهما أيّا من أسرارهما منذ بدء علاقتهما .. المهم أن هذا – فى الأغلب الأعم – هو المدخل الرئيسى الذى يلج منه الصديق إلى عالم الزوجة .. وكأنه كان ينتظر تلك الفرصة المهيأة غير «المشروعة» ليصبح طرفا أساسيا فى الأمر ..!!

فإذا ماحكى له الزوج عن خلاف ما بينه وبين زوجته .. فإنه يذهب – كعادته – بصحبة الزوج إلى منزله .. وفى هذه المرة ستكون الزوجة جليستهما كطرف تحكى أمامه ما أغضبها من زوجها .. لتقول .. وتقول .. وتنهش أسرار الزوج فى حضوره وتعض على نقاط ضعفه .. وتروى كيف أنه يفعل .. بينما «أنت» أيها «الجنتلمان» لاتفعل مع زوجتك .. وكيف أنه يعاملها بعدم احترام مثلا .. بينما «أنت» أيها «المخلوق» غاية فى الرقة والذوق مع أهل بيتك ... وأنها يستحيل أن تعاشره بعد اليوم .. و«هئ .. هئ .. هئ» .. ثم ومن خلال دموعها .. «أنا من يوم ماعرّفنى بيك .. وأنا أثق بأخلاقك وحكمك وشهامتك .. و .. و .. فهل ترضى بهذا ..؟؟!!

وها قد وصلت أول رسالة إلى الصديق .. ليستقبلها هو باللهفة التى كان ينتظرها بها .. ليقول لصديقه – كاستجابة فورية لرسالتها – .. بأنه غلطان بالتأكيد .. ثم يوجه كلامه إليها .. «بصراحة .. اللى زيك لايمكن الواحد يعاملها بالطريقة دى .. لكن سامحيه علشان خاطرى المرة دى .. وأنا أوعدك أنه لن يعود إلى ذلك أبدا» .. لتقول له .. بعد تمنع ودلال – للصديق وليس للزوج – «علشان خاطرك أنت بس .. وأنت طبعا عارف خاطرك عندى قد إيه ..» !!!!!

ولا مانع بعدها من أن يكملا الموضوع فى اليوم التالى على التليفون وهنا مكمن الخطورة .. ليسألها هو عما حدث بعد أن غادرهما .. ثم يعرج – حثيثا – على نقمته على تلك الدنيا التى تعطى «الجمال لمن لايجيد التعامل معه» .. و «لو أنها زوجته .. لوضعها فى حبة عينه وأغلق الجفون عليها .. و.. ليحدث المحظور الذى لم يكن يعتقد الزوج مطلقا فى حدوثه .. رغم أنه وياللأسف هو الذى فتح له الباب .. وهو الذى وسّع له مدخله .. وهو الذى

طعن نفسه بخنجر سذاجته وبلاهته .. وثقته بالصداقة ..!!

ذلكم أعزائى القراء هو «الرجل الثانى» فى حياة الزوجة .. الرجل الذى يقدمه لها الزوج على طبق من الثقة المطلقة فى المسمى الساذج «الصداقة» .. الرجل الذى تسعى المرأة إلى الخيانة معه تحت ستار مشروعية وجود الزوج .. وعلمه .. وهى تحفظ العبارة المأثورة التى سترد بها على الزوج إن هو واجهها بشكوكه .. «والله أنا مدخلتوش البيت .. ولم أثق به إلا لأنك تثق به» .. «وإذا كان أصدقاؤك لايعرفون كيف يحافظون على شرف صديقهم فتلك غلطتك أنت» .. «ولو مش عايزه ييجى البيت تانى امنعه .. وأنا عن نفسى إذا جاء مرة أخرى فلن أقابله .. وهئ .. هئ .. هئ» .. لينبرى الزوج - المحب - إلى ترضيتها .. قائلا بأنه لايقصد التشكيك فى أخلاقها لاسمح الله .. «وعموما سامحينى على سوء ظنى وحقك على .. وعلشان خاطرى إذا جاء النهارده اخرجى قابليه .. كأن شيئا لم يكن..» ...!!! لتنتهى الجولة بفوز الخيانة بالضربة القاضية .. وبتسليم الزوج ورفع الراية «السوداء .. لينطبق الضلعان الخائنان فى المثلث على بعضهما حتى لايصبح هناك «ضلع ثالث» !!!!

ألا ليت الأزواج يعلمون بحكمة شرع الله فى ألا يُفشوا أسرار زوجيتهم لأحد كائنا من كان .. وليتهم يعلمون أن للصديق حدودا لايجب أن يسمحوا له بتخطيها .. وليتهم لاينقلون عن الغرب مثل تلك السلوكيات التى تقف وراء كل خراب فى بيوتنا .. وليتهم يعلمون أن عليهم أن يتقوا مواطن الشبهات .. وألا يحوموا حول الحمى كى لايقعوا فيه .. وأن الصديق رجل .. والزوجة امرأة .. وهو ليس من محارمها .. وأن الشيطان يترصد تلك المواطن لينفث فيها من سمومه .. ولينفّذ عهده أمام الله ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ

صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] .. ليتهم يعلمون .. وليتهم يحذرون العدو مرة .. ويحذرون الصديق ألف مرة .. فهو أعلم بالمضَرّة .. وقد يغرق الإنسان من حيث يأمن .. ليتهم يعلمون أن مصائب البيوت العامرة لاتأتى إلا من وراء مثلث الرعب هذا .. صديق «لئيم» .. وزوجة «راضية» .. وزوج «يعلم .. أو لا يعلم..» !!

بصمة

إذا اشتممت رائحة خيانة .. ففتش عن «الصديق» .. ثم فتش عن «المرأة» .. لكننى أنصحك ألا تفتش عن «الزوج» .. فهو إما أنه يغط فى النوم العميق .. أو أنه «يدّعى» النوم ..!!!

بـلا .. أبنـــاء ..!!

لم يكن صديقى من ذلك النوع من الرجال .. الذى يحرص على أن يكون متحدثاً فى كل جلسة وفى كل مجال .. بل إننا كثيرا ماشكونا نحن أصدقاؤه من صمته فى مواقف استوجبت منه الرأى .. كما أننا كنا نعرف أنه لايعانى من مشكلات نفسية ظاهرة تبرر ذلك الانسحاب السلوكى الذى كان يعمد إليه فى مواقف تتطلب التفاعل الاجتماعى .. لكننا أجمعنا غير مرة .. على أنه صنف من البشر الذين لايحبون التدخل فيما لايعنيهم .. ولايهوون الإدلاء برأيهم إلا إذا دعوا إلى ذلك بإلحاح .. باختصار .. فهو من النوع الوقور .. «التقيل» الذى لايستفز بسهولة ..!

كنت بحاجة إلى تلك المقدمة عن صديقى .. لتعرفوا – أعزائى القراء – كم كان وقع ماسأرويه لكم على نفسى .. وكيف أن ماقاله يجب أن يؤخذ على أنه فكر رجل يفترض أنه متزن .. لامجرد رأى عابر لمن لايستحق مجرد سماعه ..

لقد جاءنى ذلك الصديق بالأمس القريب .. ومن دون أن يلقى التحية أو السؤال «المقرر» بيننا عن الصحة والأولاد .. وعلى غير عادته فى الصمت .. فوجئت به يقول لى بلا مبالاة :

* لقد قررنا أنا وزوجتى الانفصال ..!!

قمت كأننى لم أسمع شيئا .. وتناولت صينية الشاى من اليد التى تحملها وراء الستار .. ثم عدت إليه وناولته كوبه .. وأنا أستحثه بعينى ليعيد ماقال مرة أخرى ..

قال وهو يرشف من كوبه رشفة استمتاع :

* نعم قررت أن أطلقها .. ولتذهب إلى حال سبيلها .. وأنا إلى حال سبيلى ..!!

تمتمت همساً ببعض ماجال فى خاطرى فى تلك اللحظة ..

* «أيها المجنون .. كيف تطلق السندريللا – هكذا كان يسميها – النسيم الذى يتحرك على الأرض .. الحبيبة التى قاتلت العالم لكى تقترن بك .. صاحبة قصة الحب التى أسمعت القاصى والدانى؟؟! ...»

ثم علا صوتى وكأنى أسأله .. أو أسأل نفسى :

وما السبب ياترى الذى جعلك تصل إلى قرارك السخيف هذا ..؟؟

قال وهو يتكئ على ألفاظه بوضوح حاد :

«هى تريد أن ننجب أبناء .. وأنا لا أريد .. وعبثاً حاولت إقناعها بوجهة نظرى لكنها استعصت واستعصمت برأيها العقيم .. فلم يكن أمامى بد من قرار الانفصال ..!!

ارتفع حاجباى دهشة وقلت له وأنا أكتم غيظى بين أنيابى :

ولماذا تريد يا أخى تأخير الإنجاب .. وأنت على ما أعلم ميسور الحال .. ولك من القدرة المادية والنفسية مايجعلك – وهى – أهلا لاستقبال أبناء وتربيتهم على خير وجه ..؟؟

قال لى بفظاظة من تقمصه شيطان مارد :

أنا لا أتحدث عن التأجيل .. أنا أرفض الإنجاب تماما .. وأرفض أى محاولة لإقناعى بهذا الأمر ..!!

«لماذا» ..؟؟

صمت قليلا ثم قال :

«هكذا» ..!!

قلت له وقد نفذت بقية صبرى :

لايصح وأنت رجل عاقل .. أن تصدر «فرمانات» تخالف بها الأعراف والفطرة .. ثم لاتقدم تبريرا أو تفسيرا لها !!

قال بتبرم شديد .. وكأنه يعلم أننى لن أقنع بما سيقول :

سأحكى لك أسبابى .. لالتناقشنى فيها .. فهذا الباب موصد تماما .. ولكننى سأحكى لك حتى لاتتهمنى بالتعسف فى الرأى ..

* لماذا ننجب نحن الآباء أبناء .. ألكى نشقى بهم ويشقوا بنا ..؟؟ إن الآباء ينجبون الأبناء .. ويذوقون المرارة كى يشبوا على الصورة المثلى التى «يريدها الناس» .. ثم يكبر الولد ويتزوج من فتاة أجنبية عنا .. وتكبر البنت وتتزوج من شاب غريب .. ثم ينصرف جميعهم إلى أبنائهم ومعيشتهم .. ولايلتفتون إلى حيث الوالدين اللذين فى أشد الحاجة فى تلك السن الكبيرة التى بلغاها .. وإن حدث أن قدم أحدهما معروفا لوالديه .. فهو فعل أقرب عندهما – وعند الناس – إلى الصدقة .. !! وإذا لم يفعلا .. فالآباء يستجدون منهم ذلك المعروف .. فلأى شئ كان عناء الإنجاب والتربية إذن.. ألنستجدى حقوقنا من «صنيعتنا» ..؟؟

لو أن الأبوين ربيا «عبداً» .. لكان لهما «عبداً» طوال عمره هو وزوجته وأبنائه من بعده .. لكن الأبناء – الذين يحملون الاسم ويرثون المغنم – فإنهم يعتبرون أن إنجابهم وتربيتهم وتعليمهم والإنفاق عليهم حقوق مفروضة على الآباء .. لاتقابلها لديهم واجبات يؤدونها ..!!

فلماذا إذن عناء الإنجاب ، وعبء التنشئة ونحن نعرف النتيجة مقدماً؟ .. إن الأبناء ياسيدى تجارة خاسرة .. وإن كانت رابحة فلغير آبائهم .. ربما لأزواجهم أو لأبنائهم أو «لأصهارهم» .. وربما لكل الناس عدا آبائهم ..

فلماذا نضيّع أحلى سنوات شبابنا فى تجارة خاسرة ؟؟!!

كلمة «صدمة» تتضاءل أمام إحساسى بكل هذا الذى سمعت .. والنظرة السوداوية التى غلفّت هذا الحديث فاقت كل تشاؤم .. وغلبت كل أنانية .. والأكثر إيلاماً هو إحساسى بعدم القدرة على تغيير هذا التوجه الفكرى الشاذ.. أمام حديثه العنيف الذى بلغ حد الشطط .. لكننى حاولت .. ربما مكتفيا بشرف المحاولة :

* وماذا تفعل أنت مع والديك .. ومبلغ علمى أنك بارّ بهما ياأخى ؟؟

* نعم ياسيدى أنا أسأل عنهما وأزورهما وأحمل لهما من حين لآخر بعض الطعام والملابس .. لكنه .. نوع من «التمثيل الردئ» أمارسه عليهما وعلى نفسى ..!! فأنا أرى أحدهما مريضاً وبحاجة إلى أن أظل بجانبه طوال الليل لئلا يحتاج إلى شئ من الدواء أو الشراب .. ومع هذا فإننى أختلق الأسباب للانصراف بحجة الانشغال أو ضغوط العمل أو المرض .. وأنا أعلم أن انصرافى هو بسبب خشيتى التأخر على زوجتى التى تنتظرنى فى بيت أبيها .. أو فى السوق .. ثم إنك تعلم أننى أزورهما عندما تسمح ظروفى بذلك .. لاعندما تحتاج إلىّ ظروفهما .. فأى خير فىّ وأنا «أتسلل» إليهما بما «أحمل» .. من دون علم زوجتى .. حتى لاتنصب محكمتها .. عن أحوالنا المادية التى لاتحتمل .. وعن ضرورة المعاملة بالمثل مع والديها .. ياسيدى إنه نوع من الذل لكل من الآباء والأبناء .. ذل «استجداء» الوالدين لحقهما فى رعاية الأبناء لهما .. وذل «تخفى» الأبناء ليتمكنوا من أداء هذا الحق .. فلأي شئ ننجبهم .. ألكى نتجرع جميعا كؤوس الذل «مترعة» ؟؟!!

يا أخى .. إن ربنا يخبرنا بأنه لايكلف نفسا إلا وسعها .. ونحن ندعو ربنا دوماً بألا يحملنا مالاطاقة لنا به .. وأنا لا أحتمل وليس فى طاقتى أن أقضى نصف عمرى «بائساً» من أجلهم .. والنصف الآخر «يائساً» منهم .. ولذلك

فقد قررت أن أقضى حياتى من دون أبناء .. لأن سعادتى من دونهم أشمل.. ولن أترك من بعدى أحدا ليقول «هذا جناه أبى علىّ ..» .. ومن يخالفنى الرأى فلينجب كما يحلو له .. أما أنا .. فبلا أبناء أفضل .. وأجمل ..!!

* * *

لملمت خيبتى أمام تلك الطلاقة الشيطانية التى تضاد التاريخ .. ووفرت كلاماً فى نفسى عن زينة الحياة الدنيا .. وعن التكاثر والتناسل وإعمار كون الله ودوام عبادة الله فى الأرض .. وعن وصية الإنسان بوالديه .. وعن مباهاة الرسول الكريم بأمته للأمم يوم القيامة .. لكننى أقسم أن الأمر ظل مؤرقا لفكرى لوقت طال كثيراً .. ومازال السؤال حائراً على شفتى لايجد إجابة :

ما الذى أشقى هذا الرجل وأوصله إلى كل ذلك اليأس .. أهما والداه .. أم هى زوجته .. أم هم أبناؤه الذين لم ينجبهم .. أم هو جحود الأبناء الذى نراه فى كل يوم .. أم هى المادية التى تهيمن على حياتنا والتى جعلته يتعامل مع فطرة الله فينا .. على أنها .. تجارة ..؟؟!!!

بصمة

هل الحرص على إنجاب الأبناء .. أنانية من الآباء.. أم إيثار؟؟!!

كذابون .. بلا خجل !!

بعد «التسلط» .. و «الغباء» .. كعيبين «رجاليين» .. تشكو من نارهما الزوجات .. نعرج في مقالتنا هذه على «ثالثة الأثافي» .. وهو العيب الثالث.. عيب «الكذب» .. ذلك العيب في بعض الأزواج .. الذي يجعل المرأة تشد شعرها غيظاً وقهراً .. وتشكو للقريب والبعيد .. خصوصاً إذا لم تكن لديها القدرة على إثبات ذلك الكذب .. لأسباب تتعلق بـ «ثعلبية» الزوج .. أو ليست لديها الجرأة على مواجهته بكذبه .. إن هي أثبتته .. لأسباب تتعلق بـ «فئرانيتها» ..!!

و «صفة» الكذب .. على سبيل ذكر الأنساب .. لها صلة نسب قوية بصفة «أخرى» هي صفة «الخيانة» ..!! ويمكنني القول – وباختصار – إن الزوج الخائن .. بالضرورة زوج كذاب .. وإن كان ذلك لايعني أن الزوج الكذاب بالضرورة زوج خائن ..!!.. أو بمعنى آخر .. فإن الزوج الخائن مضطر للجوء إلى الكذب لتستمر حياته الزوجية في طريقها ..

إن المصلحة – مصلحته طبعاً – تقتضي أن يقول لها مثلاً : «إن رئيسي في العمل قد كلفني بعمل إضافي .. فاضطررت للتأخير عنك ياحبيبة قلبي.. ونور عيني .. ياامرأتي .. يا أم عيالي ..»

ثم .. لا مانع من مقطع عاطفي . كي .. «يحبك» كذبته الممجوجة..!!

أما إذا كان الزوج كذاباً .. من دون خيانة .. كذاباً حباً في الكذب .. فمصيبته مصيبة .. ومصيبة زوجته .. مصيبتان ..!!.. فهناك من الزوجات

«المكلومات» فى أزواجهن «الكذابين» .. من تقول لك .. بأن زوجها قد حكى لها حكاية - لامصلحة له فيها - حدثت مع أحد زملائه فى العمل.. ثم جمعتهما الصدفة مع أسرة هذا الزميل .. فحكى لها الحكاية التى حدثت معه .. ولم تجد بينها وبين حكاية زوجها أدنى صلة لا من قريب ولا من بعيد .. وعندما عاتبته عيناها - صمتاً - على كذبه .. أشاح بوجهه بعيداً .. ولسان حاله يقول لها .. «يعنى تصدقى صاحب الحكاية .. وتكذبى زوجك .. حبيبك ؟..» !!

ولست فى هذا المقال .. بصدد التحليل النفسى للدوافع التى تقف وراء عادة الكذب عند الأزواج .. ولكن الذى يهمنى هنا .. هو وجهة نظر الزوجة ورأيها فى زوجها الكذاب ..

فالمرأة تنطلق فى حبها وهيامها وتعلقها بزوجها .. من منطلق الثقة المفرطة فى ذكائه .. وفى حبه .. وفى صدقه .. بل وهناك علاقة طردية بين «الزيادة» فى تلك الصفات الثلاث .. وبين «قوة» حب المرأة لرجلها .. وليس اعتباطاً أن يُشار إلى تلك الصفات الثلاث بالذات .. فذكاء الرجل .. كى تقبل المرأة بـ «هيمنته» على ذكائها .. برغم التمرد «المجبولة» عليه .. وحبه .. كى تأمن غدر كراهيته .. يوم تعز «حيثيات» التعلق الفطرى للرجل بالمرأة .. ثم صدقه .. كى تسلِّم بانصياعها لرغباته وأقواله .. دون أدنى شك أو انعدام ثقة فيها .. أو فيما يقول .. !!

وربما كان كذب الرجل .. لإضفاء أهمية على ذاته .. بتغيير مجرى الأحداث التى يحكيها لتصب فى صالحه .. على عكس ما انتهت إليه فى الحقيقة ..!!

وربما كان كذبه .. لتعويض نقص يشعر به أمام قدراتها أو إمكاناتها ..

بادعاء بطولات زائفة .. و«عنتريات» وهمية ..!!

وربما كان كذبه نتاج «تربية» قديمة .. مارسها عليه والداه .. فصار يكذب دون وعى .. ليكسب .. أو على الأقل .. ليفلت من خسارة .. أو -بلغة تربيته القديمة - .. لينالَ ثواباً .. أو لينجوَ من عقاب ..!!

أما - وبعيداً عن التحليل النفسى الذى غلبت علىّ فيه مهنتى - فإن أخطر الأنواع الزوجية من الكذب .. هو ذلك الكذب الذى نحن بصدده .. الكذب المقصود «الواعى» .. الذى يعكس رغبة واضحة لدى الزوج فى عدم «إعلام» الزوجة بالحقيقة .. لتظل بعيدة .. لأنها - من وجهة نظر الزوج - ليست أهلاً لأن تشارِك .. أو تشارَك .. أو لأنها وبصراحة .. ليست حبيبة .. بل هى فقط مجرد .. «زوجة» ..!!

* * *

إن كثيراً من الأزواج الذين التقيت بهم .. تحدثوا معى عن كذبهم على زوجاتهم .. على أنه نوع من الكذب الأبيض .. الذى لايضر أحداً .. وأنهم ليسوا مضطرين لأن يسردوا حقائق أسرارهم لهن .. وأن ذلك ليس حقاً مكتسباً للمرأة لمجرد أنها زوجة .. ومبررات كثيرة من هذا النوع .. الذى لايعكس لدى المتخصص النفسى إلا شيئاً واحداً .. هو أن الحب لم يعرف طريقه بين هؤلاء الأزواج .. وزوجاتهم ..!!

أما الذى لايعرفه الأزواج .. أو يعرفونه لكنه لايمثل لديهم فى علاقتهم بزوجاتهم أهمية .. فهو أن ممارسة الكذب على الزوجة .. إضافة إلى أنه يقوض دعائم الثقة في الزوج .. ويزرع بذور الشك فى كل مابينهما .. حتى فى الحقائق .. ويسقط الزوج من برج عليائه فى نظر الزوجة .. إلى

درك احتقاره .. مما ينعكس بالتالي على «فطرة» حسن تبعلها .. فيرفضها .. وهو لايدرى أنه سبب أول .. وسبب أخير !! أقول بأنه بالإضافة إلى كل ذلك .. فإن الأبناء الواقفين بينهما .. يتلقفون هذا الكذب الذى يقرءونه على صفحات وجه المرسل .. أو على امتعاض وجه المتلقى .. أوعلى نقاء «استفتاء» قلوبهم .. ولو «أفتاهم الناس وأفتوهم» .. يتلقفونه برفض .. ثم بتردد .. ثم بقبول .. فيدينون به مثلما إيمانهم بقائله .. ويصبح نهجهم فى مستقبل أيام زواجهم .. مثلما هو ديدن آبائهم الآن .. ويعيد التاريخ نفسه .. فيلجأ المربون بعد عشرات السنين - مكرهين - إلى تكرار مانكتب الآن..!!

* * *

وأخيراً فإن إجابتنا عما يقوله الأزواج الآن .. ونكاد نسمعه .. «وماذا عن كذب الزوجات ؟؟؟» فإننا نسألهم التروّى .. راجين صبرهم .. إلى حين امتلاكنا الجرأة لنشر مقالاتنا .. «عيوب الزوجات» فى مؤلف قادم إن شاء الله !!

بصمة

إذا كنت «كذوباً» .. فلا تكن «ذكوراً» .. كما ينصح المثل «الجبان» .. بل كن «ذكراً» .. وواجه ..!!!

القطة .. المغمضة ..!!

غريب أمر ذلك الرجل الشرقى .. «لغز» كبير يحار العقل فى فهمه .. توليفة من «المتناقضات» .. لايملك رجل آخر فى العالم أن يتنقل بينها بمثل تلك المهارة .. والبهلوانية .. التى عليها ذلك الرجل الشرقى ..!!

* * *

قلت له ونحن نغادر – ومعنا لفيف من الأصدقاء – حفل الزفاف الذى كنا مدعوين إليه : «عقبالك ياصاحبى .. عايزين نفرح بيك ..!!»

أجابنى وهو يحاول إنهاء الحديث بطريقة مفتعلة .. «للأسف .. لن يحدث هذا إلا عندما أعثر على المرأة التى أريدها ..» !!

عندئذ سأله أحدنا بطريقة فجة ليس فيها مواربة أو تجمل .. «عامان وأنت تبحث .. ولم تجد .. لماذا .. أتبحث عن امرأة من كوكب آخر ؟؟؟!!

وقبل أن ينطق بشئ .. سأله آخر بخبث استطاع بمهارة أن يخفيه – عنه وليس عنا – : «إذن قل لنا ما نوعية تلك المرأة التى تريدها .. كى نساعدك فى العثور عليها ..؟؟» ..!!!

أجاب وهو يغادرنا مهرولا إلى حيث سيارته .. «قلت لكم ألف مرة أيها الخبثاء .. أنا أريد امرأة لاتعرف شيئا عن أى شئ .. أريها «قطة مغمضة» .. ألم تفهموا بعد ..؟؟!!!

* * *

آه .. نسيت أن أعرفكم بصاحبنا .. فهو شاب وسيم فى منتصف العقد الثالث من العمر .. معتد بنفسه .. يفيض سلوكه حيوية ونشاطاً .. غير أنه من النوع الذى جرت العادة على تسميته .. بـ «زير نساء» .. مما جعله لايثق بأية امرأة .. حتى لو كانت أخته .. بنت أبيه وأمه ..!!

ومنذ أن فتح صاحبنا باب الزواج .. منذ عامين أو أكثر .. وقد «أبلى» ثلاث خطيبات .. تم فسخ خطبتهن منه خلال شهور من خطبته .. وإجابته جاهزة لكل من يسأله عن السبب .. «إنها ليست هى النوع الذى أبحث عنه..» ..!! ولايزال حتى الآن يبحث .. ويبدو أنه سيظل يبحث .. عن تلك «القطة المغمضة» التى يريدها .. والتى يبدو أنه .. لن يجدها ..!!

عجيب أمر ذلك الرجل الشرقى ..

فلطالما تحدث عن المرأة اللماحة الذكية المتفتحة !!

أما إذا ما أراد ذلك الرجل «اللغز» أن يتزوج .. فلا بديل عنده للمرأة «الخام» .. ولا مندوحة لديه عن «القطة المغمضة» .. التى تجهل كل شئ عن كل شئ .. عن عالم الرجال والنساء ..

ذلك الرجل الشرقى .. الذى يحرص أيما الحرص على أن يقتحم عالم أية امرأة تقع فى دائرة نفوذه .. ليختار من بينهن أحلاهن وأجملهن وأشيكهن .. هو نفسه .. ذلك الرجل الشرقى .. الذى يحرص كل الحرص على ألا يقتحم أحد عالم أخته أو أمه .. وهو ذاته الرجل الشرقى .. الذى يحرص على أن يختار شريكة حياته من ذلك النوع من النساء التى لم تخبر شيئا إلا «الكتاب المدرسى» .. ولم تعرف رجلا إلا «أباها وأخاها» .. ولم تسمع أو تشاهد فى وسائل الإعلام .. إلا «نشرة الأخبار والقرآن الكريم» ..!!!

«عندى الحل لمشكلة هذا الرجل ..» .. قالها صديقى وهو يدير مفتاح السيارة .. ثم واصل بعد أن خرج من «الباركنج» - موقف السيارات - بطريقة أمريكانى لفتت أنظار المارة لنا باستهجان لم يوقف سيل الكلمات على لسانه ..

«الحل عندى ياشباب .. أن نترقب إقدامه على مشروع خطبة .. ثم نرسل واحدة من معارفنا .. لتنصح خطيبته أن تتظاهر أمامه بالجهل بكل شئ.. وأنها تعتقد أن الله قد أرسله لها ليفتح عينيها «المغمضتين» على تلك الدنيا التى ظلت بعيدة عنها قبل أن يطرق بابها .. فإن سألها عما تبثه وسائل الإعلام : أجابته أنها لاتعرف شيئا . كانت حياتها من البيت للمدرسة ، ومن المدرسة للبيت ! أما عن شعرها وكيف تتعامل معه .. فبالصابون والحناء .. وعن فساتينها وأين تحيكها .. فعند «أم سعدون» الخياطة .. وهكذا ..!!

لابد أن تخفى عنه أية معلومة من شأنها أن توقظ لديه إحساسه بأنها قطة مفتوحة العينين !!.. ساعتها سيقتنع صاحبنا بأن خطيبته من ذلك النوع الخام الذى يريده ..وعندها سيثق بها ويعتبرها من جنس آخر غير أولئك النساء اللواتى سمع عنهن .. فيتم زواجه عليها .. «وننفك منه» .. ما رأيكم..؟؟!!

* * *

«وماذا لو اكتشف بعد زواجه منها أنها ليست كما اعتقد ..؟؟» .. سؤال طرحه صديقنا الجالس فى المقعد الخلفى وهو يضحك بصوت عال..!!

أجابه صاحب الاقتراح «الحل» : ساعتها .. سوف يكون على كتفها

طفل منه .. أو تكون قد عرفت بعضا من ماضيه «غير المشرف» فلا يعود بمقدوره أن يفتح عينه فيها ..!!

قلت لهما وأنا أرتدى ثوب الحكمة البليغة .. «أليس فى ذلك غش أو تدليس أو غدر بصاحبنا يا شباب ..؟؟!!» .

انتابتهما نوبة من الضحك الهستيرى .. ظل يخفت ويخفت إلى أن صمتا فجأة .. ولم أسمع صوت أحدهما بعد ذلك .. حتى أنزلانى من السيارة أمام منزلنا .. ثم انصرفا دون تحية المساء ‹‹!!

بصمة

من حسن حظ الزوجات .. والأزواج أيضا .. أن «الزوج .. آخر من يعلم» ..!!

بيضة الديك ..!!

هل يعرف أحدكم أن الديك يبيض ..؟؟!! هل قال لكم أحد من قبل بأن الرجال يمكنهم أن يحملوا .. ويلدوا ..!!؟؟

الواقعة حدثت أمامى .. ورأيتها بعينى رأسى .. ومازلت حتى كتابة تلك السطور غير مصدق لها .. وسأرويها لكم ليشملنى «اطمئنان التجمع» .. الذى يقول عنه علماء النفس بأنه يخفف عن الإنسان .. وطأة الإحساس «الفردى» بالقهر ..!!

حدث من سوء طالعى ذات مرة أن اشتريت ديكا من سوق بلدتنا العامر .. لأضعه فى حظيرة متواضعة ملحقة ببيتنا .. توطئة لشراء عدد من الدجاجات – فيما بعد – تكتمل بهن متعة قديمة لدى .. كنت قد نسيتها منذ زمن .. بعدما احتوانا زمن الشقق الضيقة والدجاج المجمد واللحوم المستوردة والألبان المعلبة.. وغيرها من المفردات التى حسبناها مفردات «تقدم وتحضر» .. فتكشفت عن غير ذلك ..!!

ولما انشغلت بعملى أياما عن شراء الدجاجات .. خطر ببالى فجأة حال الديك فى سجنه الانفرادى .. فسعيت «أعوده» .. لأستكشف مدى قدرته على نسيان «صنف النساء» .. ومدى صلابته فى التصدى لحياة «العزوبية» .. لكننى .. وما أن دخلت عليه الحظيرة حتى هالنى ما رأيت .. وأفزعنى ما وقعت عيناى عليه .. فقد وجدت بيضة ساكنة على مقربة منه .. وهو يقف فى «خزى» عظيم فى أحد أركان الحظيرة .. فتناولتها أتفحصها .. فوجدتها صغيرة الحجم دافئة .. بما يدل بأن وقتا قليلا قد مضى على خروجها إلى النور ..!!

خرجت – وقد ذهبت بى الظنون كل مذهب – منفعلا إلى جارتنا العجوز .. فى المنزل المجاور .. أسألها كيف سمحت لدجاجاتها أن تقتحم خلوة ديكى العازب ، لتفسد عليه «أخلاقه» .. وكيف سولت لها نفسها أن تترك دجاجاتها تستبيح شرف الحظائر «المحترمة» .. وكيف أننى قد تركت نتاج «فعلتهما» – ديكى وإحدى دجاجاتها – هناك شاهدا على ذلك الحدث الجلل .. لتأتى معى ولترى بعينيها إن لم تكن مصدقة لما أقول .. ذلك الحدث الذى ينبئ بأن الواحد منا لم يعد آمنا – فى هذا الزمن – حتى على ديوكه ..!!

نظرت السيدة ناحيتى وقد ضمت شفتيها وحركتهما تجاه اليمين واليسار.. بما يوحى باستهجان متهكم لما أقول .. وقامت معى إلى حيث حظيرتنا .. وهى تهمس بكلمات تبينت منها بالكاد أنها لم تعد تملك دجاجا أو ديوكا منذ أن عرف «اليربوع» طريق حظيرتها .. فلم يبق فيها ولم يذر ..!! وما أن دلفت إلى داخل الحظيرة وانحنت على البيضة تتفقدها .. حتى انطلقت منها ضحكة كشفت عن «السن» الوحيدة الباقية فى فمها المتهالك .. ثم قالت من بين ضحكتها .. «ألا تعرف ياأستاذ .. أنها .. أنها «بيضة» الديك ..» ..!!

* * *

لم أكن أعرف قبل قولها هذا أن الديوك تبيض .. فلا قرأت ذلك فى كتاب ولا سمعته من صحاب .. فاندفعت أنهر فيها استخفافها بعقلى .. واستهزائها بعالم الطيور .. لكنها تابعت دون أن تلقى بالاً لانفعالى .. «نعم ياولدى .. والله العظيم إنها «بيضة الديك» .. فقد عرفتها من حجمها وشكلها .. فللديك بيضة يبيضها فى عمره .. وإن شذت بعض الديوك عن تلك القاعدة فهى استثناءات قليلة لاتنفى أن معظم الديوك تبيض بيضة واحدة طوال حياتها» .. ثم قالت وهى تغلق باب الحظيرة خلفها .. «إنها

حكمة الله ياولدى .. ليتعلم منها الديك - وبقية خلق الله - كيف يحنو على أنثاه بعدما يذوق ألم ومعاناة «الولادة» مرة فى عمره .. وليتكم أنتم أيضا أيها الرجال .. تتعلمون» ..!! ثم يممت شطر بيتها لاتلوى على شئ.. تاركة حيرتى ودهشتى لاتجد متنفسا لها فى الحديث مع أحد .. اللهم إلا .. الديك .. وبيضته..!!

* * *

وقفت أمامهما - الديك وجريمته - .. وتذكرت تحقيقا كنت قد قرأته لزميلة تعمل مراسلة لإحدى الصحف العربية فى أمريكا .. بعنوان «بسلامته.. حامل» .. كشفت فيه النقاب عن التجارب العديدة التى أجراها بعض العلماء الأمريكان «سراً» منذ نهاية الثمانينات .. والتى نجحوا فى بعضها فى زراعة بويضة أنثوية فى التجويف البطنى للرجل .. حيث حققت تلك البويضة نموا يبشر بالنجاح الكامل للعملية فى القريب العاجل .. خصوصا بعد التغلب على بعض العقبات المرتبطة باستمرار تعلق الجنين بأحشاء الرجل.. حتى نهاية مدة الحمل بالكامل ..!!

* * *

قفز إلى ذهنى هذا التحقيق .. وأنا أقلب بين يدى بيضة الديك .. وأكاد أصرخ .. «وافرحتكن أيتها النسوة فينا .. واشماتتكن عندما يأتى اليوم الذى تنجح فيه تلك التجارب - التى تمولها بالتأكيد جمعيات نسائية - .. ليصبح بمقدور المرأة أن تضيف بندا فى وثيقة الزواج .. تشترط فيه على الزوج أن يقوم هو بالحمل .. كل الوقت .. أو بعض الوقت .. نيابة عنها..!!

لقد كان الحمل هو الشئ الوحيد الذى كنا نعتقد - وأقول كنا .. «انظروا كم كنا متفائلين نحن الرجال» - أن المرأة لاتستطيع أن تتنصل منه

.. الشئ الوحيد الذى كان يجعلنا نواسى بعضنا البعض ونحن نرى «هوان الرجل على النساء .. هوان اليتيم على موائد الـ «....» .. فنراه يغسل .. ونراه يطبخ .. ونراه يقوم برعاية الطفل وإطعامه ونظافته .. كل ذلك كنا نصبر عليه .. ونحن نقول همسا لبعضنا .. «ألا يكفينا أنها تعانى الحمل والولادة وحدها .. ألا يكفينا هذا لنشعر أننا «رجال معززون» ..!!

فهل سيأتى ذلك اليوم الذى سنرى أنفسنا نحن الرجال «متسكعين» فى عيادات الولادة بالمستشفيات .. وزوجة الواحد منا تجلس فى أنتريه الاستقبال – واضعة ساقا على ساق – ومعها بعض المجاملات من الصديقات .. وإحداهن تقول لها بحزن مفتعل .. «ربنا يقومهولك بالسلامة .. يامدام..» ؟!!

* * *

إذن .. هذا هو الذى ينتظرنا نحن الرجال بسببك أيها الديك «اللعين» .. وعلينا أن نتقبله .. أليس كذلك ؟؟!! .. قلت ذلك بصوت مسموع وأنا أطبق على رقبة الديك بكل غيظ .. لأخنقه قبل أن يفضحنا نحن الرجال .. قبل أن أنتبه لوجود زوجتى خلفى وهى تضع يدا على الباب ويدا فى وسطها.. وتقول بسخرية لاذعة : «والديك ذنبه إيه بس يا ... حبيبى» ..!!!

بصمة

انتبهوا .. فقد تمكنت «مافيا» النساء .. من شراء ذمة العلماء فى معامل الأبحاث فى العالم .. وأنتم مازلتم بعد منهمكين فى حل اللغز الأزلى الساذج .. البيضة أولا .. أم .. «الديك» ..!!!

ترويض الرجل ..!!

فيما تحاول المرأة منذ أن خلق الله حواء .. ترويض الرجل واستئناسه .. على اعتبار أنه حيوان متوحش من أكلة لحوم «النساء» .. أو اشتهائها على الأقل .. فينجح بعضهن .. ويخفق بعضهن .. فإن أيًا منهن – الناجحات والفاشلات– يحتفظن بسر نجاحهن فى ترويضه .. حتى لاتعرفه الأخريات فيروضنه لأنفسهن .. وبسر فشلهن أيضا حتى لاتشمت فيهن الأخريات فيسحبن منهن شهادة «كيد النساء» .. التى تمنح لهن بمجرد ولادتهن .. والتى تفوق فى قيمتها عند المرأة شهادة.. «الأنوثة» ..!!

وبداية .. فإنه لا اختلاف معهن .. على أن الرجل بشهوانيته «البهيمية» .. التى لايعرف كيف يتحكم فيها أو يوظفها .. هو أقرب إلى السلوك الحيوانى منه إلى السلوك الإنسانى .. وأن المرأة بسلوكها «العقلانى» الذى تتحكم به فى شهواتها ورغباتها وتوظيفها فى ترويض الرجل .. هى أقرب إلى السلوك الإنسانى ..!!

غير أن التساؤل – القديم الحديث – عن نوعية الأساليب التى تتبعها المرأة فى ترويض الرجل .. يظل بلا إجابة .. طالما أنهن – لأسبابهن المنطقية – يحتفظن بذلك السر النسائى «الخطير» .. وطالما أن الرجال .. يحتفظون لأسبابهم – غير المنطقية – بالسر الأزلى لخيبتهم «القوية» فى صراعهم مع النساء ..!!

صحيح أن كثيرا من الرجال يرفضون أن يقال بأن نساءهم قد نجحن في

ترويضهم باستخدام أسلوب «العصا والجزرة» .. أو «سيف المعز وذهبه» .. بل يختلقون أسبابا «تجملية» .. يعزون إليها انصياعهم لتوجيهات «اللجام» الذى تمسك المرأة بمهارة بطرفه وتتشبث به .. غير أن تلك الأسباب – الكاذبة – يجب ألا تلهينا عن الأسباب الحقيقية التى نعرفها .. ويعرفونها ..

فقد يقول واحد منهم – مبرراً خنوعه معها – أنها أنثى ضعيفة لايجب استخدام القوة – التى يستطيعها إن أراد – معها .. وقد يقول آخر : إنها من القوارير التى أوصانا الرسول الكريم بهن .. ويقول ثالث إنها شريكة كفاحى وأم أولادى ولايجب أن أقابل حسن معشرها بسوء تبعلى .. ويقول رابع إنها «مالهاش حد غيرى تدلعّ عليه» .. وقد تسمع الكثير من الأسباب «الملفقة» التى يأتون بها ليخفوا الحقيقة التى تقول بأنه قد أصبح كالخاتم فى أصبعها.. لأنها عرفت بذكاء الأنثى الفطرى مفاتيح شخصيته .. فاستطاعت ترويض الحيوان الهائج داخله ..!!

المهم أن نعرف الآن .. كيف استطاعت .. رغم نزعاتها الفطرية نحوه .. والتى يفترض أنها مساوية لنزعاته الفطرية نحوها .. أن تنجح فى ترويضه إلى هذا الحد «المزرى» ..؟؟!!

كيف استطاعت أن تتسامى بنزعاتها نحوه فتهذبها .. بينما أغرته – ولاندرى كيف – بأن يحتفظ بنزعاته «الخام» نحوها دون تهذيب .. لتتمكن من ملاعبته .. كما يحاور الصياد الفأر فى المصيدة بقطعة الجبن .. فلا الصياد يمكّنه منها .. ولا الفأر يتوقف عن الاقتراب من المصيدة التى ذاق مرارة الحبس فيها كل أجداده من قبله ..!!؟؟

والإجابة عن هذا التساؤل «المرير» .. تحتاج منا إلى استقراء واقع الرجال..

حيث الأمر أسهل وأيسر من استمرار «التلصص» على خطط النساء .. وهذا الاستقراء قد يكشف عما يلى ..

** إن بعض الرجال صرحاء - أو أغبياء - فى طرح رغباتهم «الشهوانية» على النساء دون لف أو دوران .. ونظرة واحدة من المرأة إلى عينى الرجل من هذا النوع تجعلها تدرك طبيعته .. وتدرك معها أنه لا يحتاج جهداً لترويضه .. فهو يقدم لها رقبته طواعية .. طالبا منها أن تتكرم وتضع «لجامها» حوله .

قد يكون الرجل من هذا النوع شهوانياً جدا .. وقد يكون ضعيف الشخصية أصلاً .. وقد يكون ممن يعانون من نقص حاد فى فيتامينات مقاومة جنس النساء لاعتبارات طفلية ..

ومهما يكن من أمره .. فهو نوع تستطيع المرأة - أية امرأة حتى لو لم تكن تمتلك من مقومات الجمال غير كونها امرأة - أن تروضه وتسوسه وتجره خلفها إلى حيث تريد أن «تربطه» .. !!

** وهناك نوع آخر من الرجال .. معتد بنفسه إلى حد بعيد .. ولايطرح رغباته على امرأته مهما ألحت عليه - المرأة أو الرغبات - بل يتفنن فى تدبير الأمر حتى تسعى هى إليه .. حيث لا يحب أن يقال عنه إنه سعى إليها وهذا النوع من الرجال .. لا يحتاج من المرأة الا أن تكون - فقط - صاحبة الخطوة الأولى ناحيته ..

وتتفنن هى فى التهرب والتخفى و«التقل والدلال» .. لتسقيه الهجر ألوانا قبل أن تتكرم وتجيبه و «تبل ريقه» .. ليلحق ساعتها بالنوع السابق .. وينضم إلى حظيرة المروضين بعدما كان أمل الرجال معلقاً عليه وعلى اعتداده

بنفسه.. !!

** أما النوع الثالث من الرجال .. فهو النوع «الكلمنجى» .. (وهى كلمة عامية مصرية مأخوذة عن كثرة الكلام .. مع إضافة مقطع «جى» المنقول عن التركية أيام الحكم العثمانى لمصر .. مثل عربجى ومكوجى وغيرها ..) ..

وهذا النوع محب جدا للظهور خصوصا أمام صنف النساء .. فهو كثير التهريج وإلقاء الدعابات والقفشات بمناسبة وبدون مناسبة .. حيث يحاول جاهدا لفت الأنظار إلى خفة دمه وظرفه ...

وهذا النوع له فى كمبيوتر النساء «دسك» خاص به .. ما أن يتم تركيبه له حتى يسقط أخونا فى منعطف «الترويض» السحرى .. ويكفيه - مثلا - أن تقترب منه امرأته لتقول له ضاحكة .. «أنت دمك خفيف خالص .. وأنا فى حياتى ما ضحكت زى النهارده .. ده أنت لقطة .. دى الواحدة مش ممكن تسيبك .. !!

وها قد تحقق له المراد من رب العباد .. واستطاعت خفة دمه التى لم يكن لها ثمن قبل اليوم .. أن تجذب إحداهن .. ليستمر بعد ذلك فى إبداء خفته بقفشاته الباردة .. تأكيدا لأحقيته بإعجابها .. إلى أن تنتهى مخزونه من النوادر والقفشات .. فيصاب - وهذه حالة طبيعية جدا - بحالة اكتئاب حادة .. لتقترب هى منه بذكاء شديد وتقول له وهى تنظر فى عينيه بعد فترة من الصمت : «أنا كنت حاسة إن ضحكك الكتير ده مخبى وراه حزن كبير.. وياريت تسمح لى أشاركك همك ده .. احكيلى .. اعتبرنى أختك . صحيح أنا ما أنكرش إن قفشاتك جذبتنى ناحيتك .. بس كمان فيه حاجة

ثانيه قربتنى منك معرفش هيه ايه .. يمكن مسحة الحزن اللى فى عينيك وأنت بتضحك .. يمكن .. »

وطبعا ما كانش يطول صاحبنا يلاقى حد بيحبه و «مش عارف ليه» .. مع أنه عمره ما سمع من حد عبارة استحسان لنكاته القديمة أو نوادره «البايخة» .. أوحد «عبره» بكلمة حنان واحده من يوم ما اتولد .. !!

المهم .. تنصرف صاحبتنا عنه .. ولامانع طبعا من دمعتين لزوم حبكة الموقف .. وهى على ثقة بأنها قد شبكته فى أصغر أصابعها .. وأنه لن يستغنى عنها بعد الذى كان !

وبرغم أن أنواع الرجال كثيرة .. حيث «تعددت الأنواع .. والترويض واحد» .. لكن كفاية كده النهارده .. علشان أنا كده باكشف سر «الرجاجيل» .. والرجال صناديق مغلقة كما يدعون .. ومفاتيحها فى البحر كما يتوهمون .. أما الذى لا يعرفونه .. ولن يعرفونه .. هو أن المفتاح الماستر "THE MASTER KEY" الذى يفتح كل «الأقفال» .. معاها .. وكل عام و«الصناديق» و«الأقفال» .. بخير !!

نصيحة

أعلن قبل زواجه .. «مطلوب امرأة .. لترويض رجل» .. ثم أعلن بعد زواجه منها «مطلوب .. رجل» .. !!

الفتى .. الأسمر !!

منذ زمن بعيد .. وفكرة تغنى البعض «باللون» الإنسانى الذى نتوارثه من دون اختيار .. تناوشنى .. وتستثير فى نفسى كل أنواع الرفض المتمرد لهذا التشدق بما لا نملك له دفعاً إن نحن ضقنا به .. ولا نستطيع له طلباً أن نحن رغبنا فيه !!

فلو قدر لأحد مثلا .. أن يحصى تعداداً لما تنشره وسائل الإعلام من مفاضلة بين البياض والسمرة لوجد نفسه يقول متسائلاً :

لماذا كل هذه التفرقة العنصرية التى تمارس علنا ومن دون تدخل أى من الهيئات العالمية المسئولة عن الحفاظ على حقوق الإنسان .. الأبيض والأسمر.. وأى ألوان أخرى .. إن وجدت ؟؟!!

إن كل ما تبثه أجهزة الاعلام على موجاتها العاملة والعاطلة لم يخاطب – فى حدود ذاكرتى المتواضعة – إلا الرجل الأسمر .. حتى فى البلدان التى يسود فيها الرجل «غير الأسمر» كبلاد الشام مثلاً .. فإننا لم نسمع عن مادة إعلامية «جاملت» الرجل الأبيض .

إن المسألة أخطر من أن يسكت عليها .. حتى لو تعفف أصحاب المصلحة فى طرحها عن طرحها .. فمن ناحية .. قد تكون مثل هذه الاتجاهات .. بما تزكيه من نعرات «لونية» .. سبباً يقف وراء فشل المحاولات المتتالية لجمع شمل الوحدة بين كل العرب .. على اختلاف ألوانهم .. !! ومن ناحية أخرى .. فإن الطلب على الرجل الأسمر قد يتزايد .. بسبب هذه الدعاية المجانية .. إلى الحد الذى يصبح الطلب عليه أكبر من العرض .. فتقوم له سوق «سوداء» .. ومعذرة .. فحتى السوق ليست بيضاء !!

هذا فيما يتعلق بالرجال .. أما فى الجهة الأخرى من الملعب .. فإن صاحبة الغلبة من النساء فى المدّ الإعلامى - على العكس تماماً - فهى المرأة البيضاء .. أما المرأة السمراء .. فقد تجاهلوها أيضا فى منابرهم الإعلامية .. مثلما تجاهلوا الرجل الأبيض !!

إننا لا نملك إزاء إدراكنا لذلك الظلم المسموع والمرئى .. إلا أن نضم صوتنا إلى صوت الرجل «غير الأسمر» .. والمرأة «السمراء» .. ونناصرهما فى معركتهما التى نرجوهما أن يشناها على أجهزة الإعلام تلك «غير المحايدة» .. وأن يطالبا بتعويض «بأثر رجعى» .. على ما تم من تجاهل لهما.. وألا يرضيا بديلاً عن إعلان .. أسبوع للرجل «غير الأسمر» .. وأسبوع للمرأة «السمراء» .. تبث فيه جميع الإذاعات والشاشات .. كل ما يرضيهما .. ويغيظ الرجل الأسمر .. والمرأة البيضاء !!

وإلى أن يتحقق لهما النصر فى تلك المعركة «اللونية» .. ندعوهما لضبط النفس .. وننقل للمرأة السمراء .. ماكانت أمى تقوله عندما تواجه تحدياً من امرأة بيضاء : «بإمكان أى شخص أن يشترى طناً من اللفت الذى يشع (بياضاً) .. بدراهم معدودة .. أما الفلفل (الأسود) .. الذى لايطيب طعام من دونه .. فيباع - من فرط ارتفاع قيمته - بالجرام » ثم تختم تعليقها بعبارة متهكمة من نوع .. «واخده بالك .. يابيضه» !!..

بصمة

المحاضرة تُسمع مرة واحدة .. والأغنية تتردد ألف مرة .. وعندما تصبح ثقافة مجتمع ما .. «ثقافة أغاني» .. فلا تلوموا مطربيه .. ولكن لوموا محاضريه.. عفواً .. أقصد «مؤلفيه» ..!!

أنواع الرجال .. !!

نكاد نُقر نحن الرجال بأننا لانعرف عن أنواع النساء الشئ الكثير .. بل ونعترف بأن خبرات الآخرين عنهن .. والتى يتطوعون بتقديمها لنا .. لاتفيدنا كثيراً .. لأنها ببساطة .. تخص نساءهم .. أما نحن .. «فنساؤنا - بالتأكيد - مختلفات» !! .. ولذلك فإن نصيحة الرجل للرجل تُقابل دوماً بالقول الشهير .. «إنك لاتعرفها يارجل .. سلنى أنا .. إنها من نوع آخر مختلف تماما ..!!

أما النساء .. فإنهن يعترفن - فيما بينهن فقط بالطبع - بأنهن يعرفن الرجال معرفة تامة .. فالرجل كتاب مفتوح .. ومفضوح أيضاً .. أمام المرأة.. ولذلك فإن نصيحة إحداهن لأخرى دائماً ماتُقابل بالأذن الصاغية والقبول المتفق عليه .. والذى لايحتاج إلا لمجرد التنفيذ .. والنتيجة مضمونة !!

وقليلون .. أولئك الرجال الذين يتباهون بإمكان معرفتهم بالمرأة من المقابلة الأولى .. لكنهن كُثُر .. أولئك النسوة اللائى يقلن لك بمجرد رؤيته: إنه رجل من النوع « ....» وغالباً مايصدق إحساسهن !!

ولقد اجتهد الأدباء والفلاسفة فى طرح الأسباب التى تقوم وراء فراسة المرأة فى مواجهة الرجل .. وغباء الرجل فى مواجهة المرأة .. لكنهم .. وبعد أن أعياهم البحث والاجتهاد .. لم يجدوا إلا القول بامتلاك المرأة .. لما أسموه بـ «الحاسة السادسة» .. التى يرون أنها تعينها على مناصرة ضعفها فى مواجهة الرجل .. الذى يتصور - جهلاً - أنه ليس بحاجة إلى مناصرة

قوته !!

فهل نحن الرجال بسطاء إلى حد سهولة التعرف على أنواعنا من الوهلة الأولى ؟؟!!

هل نحن الرجال ضعفاء أمام مايغرينا فى المرأة إلى حد عدم القدرة على التشبث بالستائر التى تخفى مفاتيح شخصياتنا .. فيكتشفن أنواعنا بيسر؟؟!!

وهل هنّ أكثر قوة أمام مايغريهن فى الرجل .. فتستعين المرأة منهن بتلك القوة للحفاظ على غلالات خدر مكنونها بعيدة عن عيوننا نحن الرجال .. فلانعرفهن إلا قبل مغادرة الحياة بثوان .. وربما .. لا .. ؟؟!!

أم أنه «حياء» المرأة .. الذى يغلفها ويسترها ويقيها شر رغبتنا فى كشف أسرارها .. فى مقابل «جرأة» رغبات الرجل التى تعريه أمامها .. فلا يجدن صعوبة فى وطء تضاريس شخصيته ؟؟!!

* * *

ولأن العاقلين منّا يعرفون «أنهن يعرفن» .. فلا غضاضة فى فضح أنواع الرجال علانية .. ليس بقصد أن يستفيد النساء .. بل ليتعلم الرجال كيف يتحاشون محاولات المرأة استكشاف أرضهم .. وليمنحوا أنفسهم فرصة ضرب الادعاء القائل .. بامتلاك النساء للحاسة السادسة تلك .. التى يتباهين بها .. رغم يقينهن .. بأنها مجرد «إجادة استغلال» للعبط الرجالى.. وحسب !!

* * *

الرجال - أعزائى القراء - أنواع أربعة .. **أولهم** النوع العاطفى .. وهو ذلك النوع من الرجال الذى يدغدغ إحساسه بعنف .. الكلمة الناعمة

والنظرة النائمة من المرأة .. النوع الذى يحمل دموعه على خدوده .. سائلة أو متبلرة .. نوع ترف خلجات وجهه مع أول آهة قلب «تحت ضوء القمر الناعس» .. نوع لا تروقه إلا المرأة التى «تأخذ ركناً فى الحفل بعيداً عن الانظار» .. نوع لايبحث فى المرأة إلا عن أم رؤوم .. أو أخت حنون .. أو صدر حانٍ يلقى عليه برأسه عندما تخونه التفاعلات اليومية مع البشر «القساة» .. وفىّ لذكرياته إلى أبعد الحدود .. متقلب المزاج .. مندفع إلى نهاية الخط .. عائد مع أول إشارة منها .. لموقع البداية ..!!

النوع الثانى هو الرجل الشهوانى .. الرجل الذى يحمل «رغباته» على كتفيه .. ليعلْق بها «ذباب» الإغراءات .. فيستمتع بقيود العسل المُر حولها .. ويستمد منها قناعاته برجولته .. ويطرحها على الآخرين عنواناً لذكورته .. إنه نوع من الرجال تعرفه المرأة تماماً .. سهل الاستثارة .. عالى الصوت فى الشارع خفيضه فى المنزل .. تجيد المرأة ملاعبته بقدر قليل من الجهد «المدروس» .. مفاتيحه سهلة برغم ادعائه بصلابة أقفاله .. فتكفيه «طفّاشة» فى يد امرأة خبيرة .. لفك مغاليقه .. مظهرى .. حاد الطبع .. كريم العطاء .. لئيم الرغبة ..!!

النموذج الثالث .. هو الرجل «البارد» .. وذلك نوع من الرجال .. يصعب على النساء التعامل معه ، لا لجهلهن بمفاتيح شخصيته .. بل لأنه قد أغلق أقفاله وألقى بالمفاتيح إلى البحر .. تشكو امرأته دوماً دوماً .. «أنا لأعرف كيف أتعامل معه ..؟؟» .. واقعى .. عملى .. تتجمد ملامح وجهه أمام المشاعر والإغراءات إلى الدرجة التى لاتدرى معها إن كان لايشعر بها أم أنه يتجاهلها !! إنه أكثر أنواع الرجال غموضاً على المرأة .. بل وتعتبر معظم النساء .. أن معاشرة مثله .. ابتلاء .. مدخله المال .. والشهرة .. لاشئ

عنده يعادل مصلحته الشخصية .. قاسٍ .. كتوم .. تعرفه النساء .. ويعزّين من تقترن منهن بواحد مثله .. ولا أمل فى الدخول إليه .. إلا من بابه الوحيد .. وهو باب مشاركته السعى إلى تحقيق طموحاته ..!!

النوع الرابع والأخير .. هو مايمكن تسميته .. «نصف الرجل» .. وهو ببساطة .. نوع من الرجال له من الضعف العاطفى قدرٌ كبير يجعله أقرب إلى سلوك الأنثى منه إلى سلوك الرجال .. وله من الضعف الشهوانى قدرٌ .. يجعله أقرب إلى الباحث عن اللذة الجسدية بأى شكل .. حتى لو خرج هذا الشكل عن المألوف !! وهذا النوع .. ألعوبة فى يد المرأة العادية .. تستطيع القول بأن عصمته فى يدها .. برضائه .. يحلو له أن يقضى الوقت يستجدى عواطفها .. ويبكى قسوتها ، ويسترحم «رجولتها» .. التى يستمتع فى كنفها .. فاشل فى علاقات الأنداد .. محبوب جداً فى العلاقات الانتهازية.. التى تعرف كيف تستغل ضعفه .. كثير أحلام اليقظة والنوم .. الحياة عنده امرأة .. «تسوقه» ..!!

* * *

بالطبع .. فإن هناك رجالا ليسوا بهذا الوضوح فى تحديد أنواعهم .. فقد نجد الشهوانى ذا المسحة العاطفية .. وقد نجد العاطفى مع غلالة من البرود .. كما يجب ألا يغيب عن بالنا .. الفارق المهم بين ماعليه الرجل حقيقة .. وبين مايدّعيه .. فقد يدّعى «الشهوانى» عاطفيةً .. وقد يدّعى «نصف الرجل» بروداً ... لكن كل ذلك قد يختفى فى علاقات الرجال بالرجال .. لكنه لايصمد أبداً أمام المرأة المحنكة .. وينهار مع أول قذيفة «اختبار» نسائية.. !!

وبعد .. فإن سذاجة الرجال فى التخلى السهل عن أقنعتهم أمام النساء ..

ييسر على النساء مهمتهن فى معرفة .. مع أى نوع من الرجال يتعاملن .. لكى يُخرجن «البرنامج» المناسب .. والمعد سلفاً للتعامل مع هذا النوع .. والذى أثبت نجاحاً منقطع النظير ..!!

فهل نطمع فى أن يشمل الرجالَ قدرٌ أكبر من الحذر .. حتى لانظل لقمة سائغة فى فم عدونا «الحميم» .. المرأة .. أم أننا نحن الرجال نجد متعة فى أن تكتشفنا النساء .. ليقول قائلنا بفخر أمام رفاقه ومعارفه .. «إنها المرأة الوحيدة .. التى استطاعت أن .. تفهمنى» ..!!

مع أن «جميعهن يعرفننا» .. بينما نحن نغط منذ عهد آدم .. فى بلاهة عميقة !!!!

بكلمة

ليست «حاسة سادسة» تلك التى لدى المرأة .. والتى تعرف بها نوع الرجل .. إنها ببساطة .. «استنتاج متواضع .. لواقع ساذج» ..!!!

قيس .. والمجنونة ..!!

«المجانين فى نعيم» - هكذا يقولون - .. ذلك أن لكل منهم عالما خاصا يرسمه لنفسه من ألفه إلى يائه .. ويجرّده من منغصات العقلاء .. ويحذف منه ويضيف إليه كل مايرى - بعقله الراجح - إنه يضفى عليه النكهة المميزة .. بعيداً عن عالم «المجانين» ..!!

والتعامل مع المجانين «الرسميين» أكثر يسراً وسهولة .. لسببين .. أولهما أنهم يكشفون عن أنفسهم من خلال سلوكياتهم .. وهذا بالطبع لايجعلنا نبذل جهداً فى الكشف عن «جنانهم» من الوهلة الأولى .. وثانيهما أنهم مودعون فى مكان أمين لاعتبارات علاجية .. وهذا يجعل بيننا وبينهم سداً يحول دون أن يطولنا «جنانهم» .. إلا إذا شئنا نحن ذلك وسعينا إليه .. وإليهم ..!!

المصيبة - أعزائى القراء - فى أولئك المجانين .. الذين يمرحون بيننا فى أمان .. دون أن نشك للحظة فى عقلانيتهم .. أولئك الذين يطلقون على «جنانهم» .. إن نحن اكتشفناه صدفة .. مسميات زئبقية وعقلانية فى الوقت ذاته .. لاتملك معها إلا أن تُقر بها وبهم .. أولئك الذين يملكون القدرة على اختيار أوقات نوبات الجنان .. ليباغتوك بـ «اتزانهم» قبل أن تشرع فى اتهامهم بالجنون .. وربما يصلون بك ومعك إلى إقرارك - رسمياً - بأنك أنت المجنون .. ولا أحد غيرك ..!!

والحقيقة .. أنه لايوجد مجال يخلو من مثل هؤلاء المجانين - غير

الرسميين – .. فهناك مجانين الحب .. وهناك مجانين الصداقة .. وهناك مجانين الشك .. وهناك مجانين الأفلام العربية .. وهناك مجانين الكرة .. وهناك العديد العديد غيرهم .. مما لانملك حيالهم إلا الدعاء بأن يقينا الله شرهم .. وأن يتقبل شكرنا لنعمته أن عافانا مما ابتلاهم به ..!!

* * *

ولأن «الرجل» قد نالت منه كثيراً حكاية الجنون هذه .. فى قصة قيس وليلى التى اشتهرت باسم «ليلى والمجنون» .. فقد آثرتُ أن أطلعكم اليوم على قصة .. ظاهرها الكشف عن ظاهرة الجنون المتخفى فى رداء الحب .. وباطنها بصراحة .. نية سيئة «والله غفور رحيم» .. تتمثل فى تقديم نموذج لـ «امرأة مجنونة» باسم الحب .. علّ القصة وصاحبتها تشتهر ذات يوم .. فتكون على لسان الناس باسم «قيس والمجنونة» .. فنكون قد انتقمنا وثأرنا لابن عمنا قيس وكل الرجال .. من ابنة عمه .. وكل النساء من جنسها..!!

* * *

أحبته دون أن يعرف .. اقتحمت حياته دون استئذان .. بدأت تنسج خيوط عنكبوتها من حوله ببراعة وأناة وطول صبر .. جمعت عنه كل معلومة كبيرة أو صغيرة من كل مصدر متاح أو غير متاح .. تفننت فى إشعاره بوجودها بكل سبيل .. سعت إلى معرفة تاريخ ميلاده من جهة عمله .. لتباغته يوم ميلاده بهدايا مرسلة على منزله .. من مجهولة .. لتتسلمها امرأته .. تعرفت إلى صديقيه الحميمين لتنال منهما ماعز عليها معرفته من مصادرها .. واستحلت لنفسها إغراء أحدهما بطريق أو بآخر .. ليستجيب

لمطلبها بأن ينقل لها أسرار حياته .. لم تدع امرأة تعرفه أو عرفته إلا وتقربت منها وروت لها أوهاماً عن علاقاتها .. لتجرها إلى الحديث عن علاقتها معه إن وجدت .. توقظه وأسرته من «عز النوم» على صوت رنين أو «فحيح» التليفون .. لتزرع بذرة الشك فى قلب امرأته .. وبذور القلق فى قلبه .. أرسلت له الرسالة تلو الرسالة حتى ضاق برسائلها .. اختلقت قصصاً عن مرضها واقتراب موتها .. لتسترحمه .. وعن علاقتها بالجِنّ .. لترهبه .. وضعت صورته فى كل ركن ترتاده فى بيتها .. بكت له ضعفاً عندما عرف سرها .. وغضبت فى وجهه شططاً عندما حاول أن يبحث عن كلمات تثنيها عن جنونها .. حكت لكل الناس حكايتها .. انتزعت لنفسها الحق فى التفكير بأن تنتزعه من بيته إلى قلبها .. لم يردها صده .. ولم ترعوِ من حزمه .. ولم يعرف اليأس طريقاً إلى نفسها الولهانة .. اتهمته بتجاهلها .. ونعتته بالغرور .. عاشت شهوراً لا تنام إلا عندما تسمع صوته فى التليفون يستفسر عن المتحدث ثم تغلق الخط .. بحثت عن كل ما اعتقدت أنه نقطة ضعفه وخاطبتها ..

ثم .. ثم أفاقت على ماضاع من سنوات عمرها فى حبها المجنون .. وتنازعتها الرغبتان .. فى إدراك مابقى من العمر .. وفى المحاولة الأخيرة «لعل وعسى وليت ..» وكل حروف التمنى .. ولم تحسم اختيارها بعد ..!!...»

* * *

إنها المجنونة حباً .. فهل أذنبت أن أحبته كل هذ ا الحب .. أم أنه أذنب لأنه لم يستجب لـ «كل» هذا الحب؟؟!!

إنه – ياإخوانى وأخواتى – الجنون الكريه .. الذى يسد كل المنافذ على

الشخص «المستهدف» .. بالحب .. حتى أن روحه لو أرادت أن «تخرج» ضجراً .. لاتجد منفذاً تخرج منه ..!!

إنه كوكتيل «الحب والجنون والحمق» .. الذى يدعو من يبتلى به .. أن يبدله ربه بخير منه .. وهو «كراهيتها» له ..!!

وعندما نقول بأن «من الحب ماقتل» .. فقد أصبنا .. ولو كره المجانين .. والمجنونات .. وعليكم أيها المحبون .. أن ترحموا محبوبيكم من نوبات «الجنون» التى تنتابكم .. وأن ترحموا المجانين من «سبة» انتسابكم إليهم .!!

بصمة

الفنون .. جنون .. وكذا الأدب .. إلا ذلك النوع من «جنون الحب» .. فهو انعدام «فن» .. وقلة .. «أدب» .. !!

طلاق .. بالمراسلة !!

تماثلت تجاعيد قلبها للشفاء .. وعادت تمسك من جديد بخيوط مغزل الفكر ، لتنفض عن عينيها عنكبوت الدمع .. وتفض سرادق العزاء الذى أقيم لها !! عادت تتهجى أبجدية المشاعر من الحرف الأول ، وتستنطق لسانها الذى ظل معضوضاً تحت أضراس الغيظ عاماً كاملاً .. لتستدعى مفردات التمرد على القهر .. وتستخلص من لجلجته «العتيقة» حروف الترافع .. لتنفخ قبلة الحياة فى فم «قضيتها» الميتة :

«طلقنى بالمراسلة ياسيدى .. حمّل «زاجل» الوصل بيننا خطاب القطيعة!! استفاقت خميلتى - التى رصعتها بالورود من أجله - على ناعق البوم يحيلها إلى خراب .. بكلماته المختنقات ، عن القسمة .. والنصيب .. والمشوار .. والزوج المناسب .. وكل ما تضمه قواميس الخسة والجبن من مفردات «أنهكها» التستر خلفها!!»

«أرجأ زفافنا ياسيدى إلى حين عودته من بلاد الغربة .. بثنى عهوده بأن يصل الليل بالنهار .. غادرنى ومعسول كلامه إدام لخبز انتظارى .. غادرنى بعد أن دغدغنى بوعوده أن يستودع أشواقه النجمة الأخيرة فى مجموعة «الدب القطبى» ، لأستقبلها كل ليلة عندما تنقر زجاج شرفتى .. فى خلوة البيوت النيام !!»

عامان ياسيدى وخطواتى اليومية إلى صندوق البريد إشهار جنائزى لحبه .. وانحناءتى لأفتح الصندوق .. ركوع فى «صلاة الحاجة» ليقضيه الله لى ... وإدارتى للمفتاح دعاء صامت بألا يرد يدى خاليتين من «وجبة الأمل» اليومية .

«كم تمنيت ياسيدى لو وسعنى صندوق البريد فاقيم «داخله» بديلاً عن بيتنا المؤجل .. لأكون فى شرف انتظار رسائله وهى تنساب إلى داخلى ،

فأصنع من كلماته الدافئة متكأ أستند إليه ، ومن أوراقه الحانية مقعداً وثيراً أفترشه ، ومن طوابعه «لوحات» على جدرانه .. وأطرز ظلمته بلآلئ حروف اسمه الذى يذيل به الرسالة .. ثم أنادى .. يا «عشنا السعيد» .. ضمنى إليه انتظاراً .. وشوقاً ..!»

«لقد أقام – ياسيدى – المراسم والاحتفالات لاقترانى به أمام شهود العيان .. ثم اختصنى وحدى بصاعقة «فض الاقتران» فى خطاب مغلق ، ليس فيه من مظاهر الاحتفال والعلن إلا «ألوان» طابع البريد ، وليس له من الشهود إلا حروفه .. ودمعى!!»

«اعلم ياسيدى أنه استخدم حقاً شرعياً .. شأن كل الرجال .. لكننى أعلم أيضاً أن كل حق أمامه دوماً واجب .. وأقل هذا الواجب أن يمنحنى «حقى» فى معرفة الأسباب .. و «حقى» فى عرض وجهة نظرى .. وحقى فى الدفاع عن «حقوقى» فى زوج وأسرة وأبناء !!.. و «حقى» فى أن أصرخ فى وجه الظلام القادم إلى حياتي !..»

سيدى القاضى .. «الرجال لا يعرفون كيف تنزف الأنثى المقهورة – للداخل – سماً يأكل أحشاءها فلا يبقى ولا يذر .. ويتركها قنبلة موقوتة!!»

فهل ستعيد إلىَّ ياسيدى القاضي «نهارى» المسروق .. أم ستتركنى «أنفجر» فى وجه كل الظلاّمين من الرجال !!؟

سيدى القاضى :

«تلك قضيتى .. فانطق بالحق أو انزل من مقعد (عدالتك)» !!

بصمة

بين العدل والظلم فى معاملة النساء ، وجهة «نظر» عمياء .. لرجال «مبصرين» !!

كيد .. الرجال ..

هل سمع أحدكم بكيد الرجال هذا .. وإن كان قد سمع .. فهل عرف عنه أن بإمكانه أن يغلب كيد النساء ؟! لقد ذكر قرآننا الكريم ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] ، ونحن نسلم بذلك إيمانا .. لكن الآية الكريمة لم تقدم لنا مقارنة بين كيدهم وكيدهن ! بل وصفت فقط كيدهن .. وهذا لاينفى أن يكون كيدهم عظيماً أيضاً .. وقد لايكون .. اقرؤا معى هذه الحكاية التراثية ..

يُحكى أن تاجرا شهيرا .. كان فخورا بقدرته على التغلب على كيد النساء ، ورد كيدهن إلى نحورهن .. إلى حد أنه كتب لافتة على باب متجره تقول : «كيد الرجال يغلب كيد النساء» !! فاغتاظت إحداهن ، ممن يثقن بقدراتهن على الكيد .. حتى النخاع !! وصممت أن تعطى كيده الذى يدعى .. درسا لاينساه ! فذهبت إليه يوما بصحبة ابنة أحد أثرياء المدينة، وكانت على قدر كبير من الجمال .. وتظاهرت بأنها تبغى شراء بعض ما تحتويه مؤسسته من بضائع .. فانبهر التاجر بجمال صاحبتها ، وفكر للتو فى الزواج منها .. وحاول أن يتعرف إلى اسمها أو أهلها لكن صاحبتنا حالت دون ذلك ما استطاعت .. ثم انصرفتا بعد أن اشتريتا ما أرادتا !

وبعد عدة أيام عادت إليه المرأة فوجدته مهموما ساهما .. كما توقعت .. وعندما رآها انفرجت أساريره .. وسألها بربها أن تخبره عمن كانت معها .. وابنة من ؟ وهل هى متزوجة أم لا ؟! فقالت له : إن لم يخب ظنى .. فقد تعلقت بها وتريد الزواج منها . فقال : أى والله .. وأرجوك أن تساعدينى ، ولك ماتريدين !! فقالت له : ذاك أمر لاتستطيعه .. فهى ابنة أحد أعيان

المدينة ، وهو مافتئ يرفض تزويجها لكل من يطلب يدها ! فاستعطفها أن تساعده فى هذا الأمر .. فقد تعلق قلبه بها وبجمالها ! تظاهرت بالتعاطف معه ، وقالت له : سوف أدلك على عنوان منزلها ، وعليك .. إن كنت تريد الوصول إلى مبتغاك ، أن تنفذ ماسأقوله لك بحذافيره !! فوافق على الفور . فأعطته عنوانا .. وقالت : اذهب إليه ، لتلقى أباها .. وأخبره برغبتك فى الزواج من ابنته ، فإذا حاول التملص من الموافقة وتعلل بأن ابنته لاتصلح للزواج .. فقل له : إنك تريدها لشخصها مهما كانت عيوبها !! سيقول لك بأنها قبيحة المنظر .. كسيحة مشلولة .. قل له : إنك توافق ، وإنك لن تتراجع عن رغبتك !!

ذهب التاجر إلى حيث وصفت .. ولاقى أباها ودار بينهما الحديث على النحو الذى أفهمته ، وتمت موافقة أبيها وأعلن زفافهما ، وكانت صاحبتنا أول الحضور . وبعدما انتهى الحفل ودخل التاجر إلى منزل الزوجية ليلقى عروسه .. فوجئ بمالم يتوقعه ، فقد كانت عروسه بالفعل .. كسيحة مشلولة ، قبيحة ، مثلما وصفها أبوها .. بل أسوأ !!!

بعد عدة أيام .. زارت صاحبتنا التاجر فى متجره ، فوجدته حزينا مطرقا إلى الأرض ، وما أن رآها حتى اندفع نحوها .. يسب ويلعن ، فقالت له فى هدوء : أرجو أن أمر فى الغد ، فأجد هذه اللافتة قد أزيلت ، وحلت محلها لافتة أخرى تقول «كيد النساء يغلب كيد الرجال» .. واستدارت خارجة من متجره .. تاركة إياه يلعن غروره الذى سوّل له أنه أكثر كيدا منهن !!!!

والحق أن مثل هذه الحكايات وغيرها ، تشبه حكايات «أمنا الغولة» .. التى كانت أمهاتنا تخوّفنا بها فى طفولتنا .. رغم علمهن بأنها خرافة لايخافها إلا «العيال» !! وهكذا كيد النساء .. عظيم .. نعم .. ولكن يغلب الرجال الذين عصم ربى .. لا .. وألف لا !!!

لقد توارثنا نحن الرجال «الرعب» من كيد النساء .. وحال التهديد به ، دون مواجهته والتصدى له إن لوّحت إحداهن به !! وأنا شخصيا أعرف نساء بينهن وبين الذكاء ، الذى هو المادة الفعالة للكيد ، خصام شديد .. فمن أين لهؤلاء بذلك الكيد المزعوم !؟ لسنا على استعداد – كرجال – أن نترك لهن مجال المكر والكيد ، حكرا عليهن .. لكونهن نساء فحسب !! فكيد النساء – إن وجد لدى إحداهن – لاينال إلا من أولئك الذين ضل سعيهم، واعوج مسلكهم .. أما أولئك الذين «استقاموا على الطريقة» ، فـ «إن الله يدافع عن الذين آمنوا» .

* * *

يبقى أن نشير إلى قول بعضهم .. إن النساء يلجأن للكيد ، ويبرعن فيه .. بسبب ضعفهن وتواضع أدواتهن فى مواجهة الرجل .. مما يضطرهن إلى التفنن فى المكر والكيد !! وهذا القول مردود عليه ، فليست معركة تلك التى بيننا وبينهن ، وقد نلن من الحقوق مأرضاهن .. وأعفين من الواجبات بالقدر الذى لا يرضينا .. ولم يعد هناك مبرر للقول بضعفهن ، واضطرارهن للجوء إلى الكيد !!!

فيا أيتها النساء .. اتقين الله فى رجالكن .. واكففن كيدكن عنهم .. علّ الله أن يودع محبتكن فى قلوبهم .. لاخوفاً .. ولا طمعاً ....!!!

بصمة

ومن الكيد ما قتل .... صاحبته !!

الحبيب ... الأخير

ما يدور فى مجالس «شباب الأربعينات ، يحوى قدراً من الحكمة غير يسير ، يستحق أن ننقل بعضه إلى «نواصى» شباب العشرينات ، التى يتسكعون عندها حاملين دوماً هموم مشكلات ، قديمها جديد وجديدها قديم ، لكنهم – كتماناً – لا يسألون أحداً عنها ، وإذا مروا بمن يحكى منا عنها فإنهم – جهلاً – يمرون كراماً !! وما أشبه الليلة بالبارحة ، فقد قيل إن جحا كان يردد دوماً «لعنة الله على من تزوجوا قبلى ، لأن أحداً منهم لم يحك لى شيئاً ، ولعنته أيضاً على من تزوجوا بعدى ، لأن أحداً منهم لم يسألنى» !!

من هذا الذى يحتاج إليه أهل العشرينات ، ولنا فيه «كلمة» نظنها كلمة حق ، ونعلم أن كثيرهم سيظنها باطلاً ، لكننا سنقولها خوف أن تصيبنا بعض لعنة «جحا» إذا كتمناها ، وأملاً فى أن يصيب «بعضهم» منها شيئاً ذا قيمة ..

فى البدء : يجب أن نتفق على أن كثيراً مما يعيشه بعض شبابنا – فى مرحلة البلوغ – من مشاعر يسمونها حباً ، ليس بينه وبين الحب أدنى صلة، بل هى أقرب ما يكون إلى العواطف «الطفولية – الأمومية» – إن صح التعبير ، فللمراهقين دوماً مع الجنس الآخر ، صولات مبكرة أبطالها دائما ابن الجيران وابنتهم ، وفتيات المدارس القريبة وفتيانها ، ثم بعض ذوى القربى ممن تمتد سنوات سماح أهلهم لهم – ولهن – باللعب والتزاور على

أنهم مازالوا «بعد .. صغاراً» !! هذه الصولات الطفولية - الأمومية ، لا تعد بطلاتها فى عيون أبطالها - أو العكس - إلا مجرد أشكال متقدمة من «الدمى» التى كانوا - وربما لايزالون - يلعبون بها ، مع فارق بسيط هو أن هذه الدمى «متحركة وناطقة» ، يشعر معها اللاعب بذاته ، ويسقط عليها حرماناته ، ويصب فيها عواطفه ، التى آن لها أن تنتقل من «الأمومية» إلى «الغيرية» .. ويستمد منها حكاياته الهامسة لأقرانه - أو أقرانها - والتى بدونها لا تمنحه جماعة الرفاق «هوية الذكورة» أو «هوية الأنوثة» والغريب أن «كبارنا» فى معرض حديثهم عن العواطف والقلوب يرددون مع الشاعر.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى   ما الحب إلا للحبيب «الأول»

على اعتبار أن «الحب الأول» هو تلك العلاقة «الفجة» التى يعرفون أنها أبداً لم تكن اختياراً بحال من الأحوال - وهو أهم ما يميز الحب الصادق - بل كانت «تعلقاً طفولياً» بالحالة الوحيدة التى تصادف وجودها ، وتصادف استجابتها - لظروف طفولية أيضاً - بنظرة .. أو كلمة .. أو حتى بالصمت!! إنها حالة «لعب عيال» يجب أن يفكر الشاب والفتاة ملياً قبل أن «يرتبوا» عليها مشاريع زواج ، فما أكثر الفشل عندئذ ، وما أقسى المرارة بعدئذ !!

أما عن حب «ما قبل الزواج» والذى تضطرم نيرانه بعد العشرين ، فمع تسليمنا بإمكانية حدوثه ، فان ذاكرتنا القريبة البعيدة لا تعى مما عايشناه منه إلا النادر اليسير الذى انتهى بالزواج ، وأقل من النادر الذى استمر بعد الزواج ! لقد عشنا وعايشنا كثيراً من هذه القصص ، وبحكم حرصنا الفضولى على معرفة أخبار «أهل الهوى» من زملاء سهر الليالى .. وعدّ النجوم ، كنا نتابع الأخبار التى تنعى لنا واحدة تلو واحدة من هذه القصص،

وتركنا نضرب كف الدهشة بكف على ذلك الحب الذى حسبناه يوماً حباً أفلاطونيا سيعمر طويلا ، فإذا به يحطم توقعاتنا «تحطيماً» ، ويعدّنا لاعتلاء مقاعد الخبرة والحنكة التى أحادثكم - عذراً - من فوق إحداها الآن !!

إن الدعوة للزواج عن حب ، والتى يرجئ فيها البعض زواجه إلى أن يلقى ذلك «الحبيب المجهول» هى دعوة «لئيمة» ممن يستطيعون الباءة ، ينتظرون فيها وهماً لا يجئ ، وإن جاء عند إشارة مرور ، أو عبر مكالمة هاتفية خطأً أو فى السوق .. أو حتى على قارعة الطريق ، فإن كل ما يفعله هو أنه يرفع التوقعات لدى «الحبيبين» عن المستقبل الخيالى الذى ينتظرهما فى «عش العصفورة .. مع اللقمة الصغيورة!!» ، مما يجعل الفجيعة فيه بعد الزواج عظيمة ، بقدر التوقعات الوردية .. فيحدث عندها «الهروب الكبير» إلى الزواج الثانى .. دون حب هذه المرة .. لعل وعسى !!

أخيراً .. نصل إلى محطة «الحب بعد الزواج» ، ويبدو أنه من المناسب الآن أن نتجادل قليلاً فى معنى الحب بين الزوجين ، فقد كثر فيه اللغط البيزنطى وكاد ينفرنا من الزواج .. والحب .. وسنينه !! الحب بين الزوجين عندى - ببساطة جامعة أرجو ألا ترهق المعنى - «شعور كل منهما بدرجة من الاغتراب عندما يزور منزل والديه!» هذا المعنى قد يحتاج لمقال مستقل ، لكننى أثق بأن قرائى وقارئاتى من الألباء - جمع لبيب - ممن يغنيهم التلميح عن التصريح ، ويكفى أن تسمع المرأة من زوجها عبارة مثل «لا أنام ملء جفونى إلا فى .. بيتك» ، أو يسمع الرجل من زوجته عبارة مثل «لو عاد الزمان مرة أخرى .. ما تزوجت غيرك» ، ليعرف كلاهما أن الحب قد «أنشب أظفاره» فى حياتهما !!

الحب بهذا المعنى هو الطفل الشرعى «للعشرة» الحقة ، وعلى كل من

تزوج دون حب ، ولم يجده بعد الزواج ، أن يمنح الآخر - صادقا - فرصة احتوائه داخل مجاله المغناطيسى ، ثم يمارس تجواله داخل هذا المجال الرحب، مردداً ما يحلو له من قول ، وينتظر أن يستمع إلى صداه .. إلى أن تأتى اللحظة «الرائعة» .. التى لا يعرف كنهها إلا من ذاق عسيلتها .. اللحظة التى يستمع فيها «صداه» قبل أن يتكلم !!! .. ساعتها سيدرك معى أنه «ما الحب إلا للحبيب .. الآخر» ولو كره الشاعر .. وأنصار الشاعر .. وبعض القراء !!

بصمة

لو أدركت المرأة كيف تفعل «رائحة» وجودها الحقيقية فعلها في تعلق الرجل بها ككيان له «تفرده» .. لأفلس بائعو العطور !!

دمـوع الرجـال

قـالت له مـسـتنكرة : امـسح دمـوعك يا رجل .. فـالدمـوع لم تخلق للرجال!!

طأطأ رأسه فى خجل ، ومرر راحة يده – على استحياء – على خديه المبللتين ، ليزيل آثار الفعلة التى استنكرتها زوجته . ثم انصرف من أمامها إلى حيث يمكنه البكاء على راحته .. بعيداً عن عينيها القاسيتين .. رغم وافر الدمع الذى يحتويهما بمناسبة ومن دون مناسبة!!

.. وبعدما أحس بأن عينيه قد دمعتا بما يكفى لكفكفة أحزانه .. تساءل فى مرارة :

لماذا يستأثر النساء «بحق» الدموع من دون الرجال ؟!!

لماذا تستنكر النساء ضعف الرجال .. بينما يستلذ الرجال دموع المرأة ؟!!

لماذا يشعر الرجال بالاعتزاز عندما تخاطبه إحداهن :

أراك «عصى الدمع » شيمتك الصبر..أما للهوى نهى عليك ولا أمر؟!

بينما تشعر المرأة بالاعتزاز نفسه إذا خاطبت محبوبها :

« سهران لوحدى .. أناجى طيفك السارى .. سابح فى وجدى ودمعى ع الخدود جارى »!!

هل من العدل أن تنزف عيون النساء أحزانها فى كل حين .. بينما قدر الرجال أن «تتعملق» «أورام» شجونهم داخلهم .. حتى «تتسرطن» .. دون

السماح بأى قدر من التنفيس ؟!! ولما لم يجد لتساؤلاته إجابة .. كاد ينخرط فى نوبة بكاء جديدة !!

* * *

الناس جميعاً - رجالاً ونساء - منقسمون فى الأصل إلى نوعين - حسب مدى استجابة الغدد الدمعية لانفعالات أصحابها : ذوى الدموع الغزيرة ، وذوى الدموع المتحجرة ، أو أصحاب الدموع المدرارة ، وأصحاب الدمع العَصِىّ ..

لكنها الثقافة - سامحها الله - تلك التى تزرع فى نفوس النساء - منذ نعومة أظفارهن - ألفة بالدمع .. وتحالفاً مع البكاء .. مرة تحت مسمى الضعف المحبب لدى الرجال .. ومرات بمسمى سلاح المرأة الذى لا يخيب!! بينما تغرس فى يقين الرجال - منذ صباهم - نفوراً من الدموع وفراراً من مسبة البكاء وعاره !! من دون أن تقدم هذه الثقافة للرجال بديلاً.. يهرعون إليه - عندما تكسر الأحزان ظهورهم !!

وبالطبع .. فإن الأحزان التى أعنيها ، ليست أحزان هجر الحبيب أو قسوته فقط .. لكننى أتحدث عن الأحزان التى تكتنف الرجال حيال نائبات الزمان وفقدان الصديق وحداثة اليتم والابتلاء فى فلذة الكبد ومذلة الدين وقهر المرض وحسرة عقوق الولد وجحيم الوحدة بعد وفاة زوجة مخلصة ..

* * *

أذكر فى طفولتى البعيدة .. أن شاباً من جيراننا فقد زوجته وابنته فى حادث أليم .. وظل أياماً يجلس بين من جاءوا ليقدموا واجب العزاء .. صامتا لا يكلم أحداً .. ولا يدمع ولا ينفعل .. وجاء أبوه فى أحد أيام

العزاء.. وبعد أن جلس قليلاً .. افتعل موقفا للانفعال على ابنه .. ثم اندفع ناحيته .. وكال له ضرباً وركلاً .. دون سبب ظاهر للحاضرين .. هاج الابن وماج وراح فى نوبة بكاء هستيرى .. وانطلق نحو الداخل لا يلوى على شئ!! ولما استفسرت العيون عن سبب تلك القسوة التى لا تراعى الظرف النفسى للابن .. أجاب الأب الحكيم .

«كان لابد لهذا الولد من أن يبكى .. وإلا مات كمداً !! كان على أن أكرهه على البكاء بأية طريقة .. ليست قسوة منى يا إخوان .. إنها رحمة وإشفاق عليه .. من كتمان حزنه دون تنفيس !! تمنيت لو شلت يدى قبل أن أرفعها عليه .. لكن ما باليد حيلة .. وضرر أخف من ضرر !!»

وظلت ذاكرتى الضعيفة ، مستودعاً أميناً لتلك الكلمات الفطرية التى قالها الرجل البسيط ، إلى أن قرأت فى كتب علم النفس المعانى نفسها - «بألفاظ منمقة» - ، عن المكبوتات والقهر النفسى و«التأثر الفسيولوجى بالأزمات النفسية» أو ما يسمونها الأمراض «السيكوسوماتية» !!

* * *

ومنذ أيام .. سألنى أحد أبنائى : ألم تبك أبداً يا أبى ؟!! وقبل أن أبحث له عن إجابة تتفق مع مستوى استيعابه .. تبرعت أمه بالإجابة .. «لا .. بالطبع .. فالرجال لا يبكون .. وأنا لم أر فى حياتى دموعاً فى عينى أبيك!!» .

تمنيت لو أنها قالت - أو تركتنى أقول - إن الدموع ليست مسبة .. وأن الإنسان كتلة من المشاعر والانفعالات ، وعندما يكون هناك موقف إنسانى يستدعى الدموع ، فلا فرق بين رجل وامرأة .. الاستثناء الوحيد - يا ولدى

– يكون لأصحاب القلوب المتحجرة !! ألا تدرى النساء بأن طرق الرجال – البديلة – للتنفيس عن الضيق والحزن ، هى السبب فى كل ما تعانيه النساء من أزواجهن ؟

* * *

لتكن دعوة للرجال .. لبعض دمعات حانية ، لا لدموع الجزع الباكى ، دمعات يحفظن سلامة وصحة أجهزتنا النفسية .. دمعات نذرفها – عندما تلح – فى مواقف الاسترحام والتعاطف والحنين بيننا .. لا فى مواقف الجد والتضحية والدفاع عن الأرض والعرض .. دمعات حزن أو فرح بعيداً عن زيف الرجولة المفتعلة .. فللرجولة ملامح لا ينتقص منها بعض دمع التراحم.. مثلما لا يضيف إلى الأنوثة .. بعض دموع «التماسيح» !!

بصمة

عندما تبكى زوجتك ضعفا أو لؤما فلا تسارع إلي استرضائها فقط اترك لبعض دموعك أنت أيضاً العنان.. ثم انتظر قليلا فالنتيجة .. فتاكة !!!

خيانة .. زوجية !!

لم يكن هذا الذى انتهيت منه لتوى .. من بنات أفكارى .. وإلا .. كنت «وأدتُ» تلك البنات فى مهدها .. وتحملت الوزر .. لكنها نقلٌ أمين لما دارَ فى احدى الجلسات التى ضمنتنى صدفة مع بعض «الرجال» .. فى معرض حديثنا الذى لا ينتهى عن همومنا مع المرأة .. وبدونها!!.

* * *

كثيرون من الأزواج والزوجات .. يتشدقون بمناسبة ومن دون مناسبة .. بما يحتفظون به لديهم من مفهوم عن «الخيانة» .. أقل ما يقال عنه إنه مفهوم على قدر عال من التدليس والغش .. للنفس قبل أن يكون للآخر .. ذلك أن البعض منهم ومنهن .. يعتقدون اعتقاداً راسخًا .. أن الخيانة كلمة مقصورة على الفعل الفاحش وحسب .. الفعل الذى يدخل بصاحبه تحت فئة .. «مرتكبى الكبائر» ..!! أما ماعدا ذلك .. فيرون أن من الأفضل والأصوب أن نطلق عليه مسمياته «المهذبة» .. التى تبتعد به عن وقاحة وفداحة كلمة الخيانة .. تلك الكلمة التى لا يشحذها فى وجوههم إلا المتشددون .. أما هم .. فعلى حد قولهم .. منها براء ..!!.. ودوماً جعبتهم لا تنفد من المرادفات أو المسميات المهذبة تلك .. كالإعجاب والعاطفة ، والهوى ، والانسجام .. إلخ .. وكلها بعيدة كل البعد عن فضيحة الخيانة الزوجية .. أو غير الزوجية ..!! فمن قائل منه بأن قلبه «مال» إلى أخرى .. وبالطبع .. فسبحان مقلّب القلوب ..!!.. ومن قائل بأنه قد رأى «جمالاً» لم يملك - أمامه - إلا أن يحبه .. وبالطبع .. فإن الله جميل يحب الجمال

..!!.. ومن قائل بأن الرتابة اليومية مع «الوجه الواحد».. تضطره إلى التفكير فى الزواج التالى !.. ومن قائل بألا بأس من بعضٍ من العلاقات «المؤقتة» .. فذلك خير من أن يتزوج على امرأته .. وبالطبع .. فهذا كما يدعون .. أفضل لها .. إن خُيرّت ..!! ومن قائل بأن «ضرب المرأة بأرجلها .. ليُعلم الذى تخفى من زينتها» .. كان فتنة على عهد رسول الله .. بل ونزل فيه نص قرآنى بتحريمه.. فما بالكم بالفتن «العارية» التى يتعرضون لها كل يوم .. والتى إن لم يذهبوا إليها .. جاءتهم «عبر أمواج الأثير» .. إلى بيوتهم .. فإذا ما استجابوا إلى بعضها .. دون أن يقعوا فى الفعل الفاحش .. فهم ليسوا إلا بشراً .. تترصدهم غواية الشيطان .. وبالطبع .. فإن هذا أبعد ما يكون عن «الخيانة» .. التى نتحدث عنها !!.

* * *

فيجب ألا يأخذنا العجب من هذا الذى قالوا ويقولون .. فلن يجود الزمان بمن يعترف بأخطائه بسهولة .. ما بقيت الحكمة الخالدة .. «الاعتراف بالحق .. فضيلة» .. والخائن على خصام مع الفضيلة .. وعلينا أن نبذل جهداً لإقناع المخطئ .. لا بخطئه .. فهو يعرفه تمامًا .. بل بالاعتراف به .. وذكره بمسماه الحقيقى دون لف أو دوران .. وهذا ما حاولته فى جلستى معهم .. وما أحاول أن أكمله معهم .. ومعكم أعزائى القراء ..

* * *

ياسادة .. الخيانة هى الخيانة .. لا تتجزأ ولا ترتدى أقنعة .. وعندما يقول القرآن العظيم فى سورة غافر ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) ﴾ [غافر: ١٩].. فقد حُسمت القضية .. فالعين الخائنة .. هى تلك العين

التى تختلس النظر إلى محرم .. مجرد اختلاس .. كما يقول بذلك «تفسير الجلالين» .. وعندما يرد النص .. فلا اجتهاد معه !!.

ياسادة .. عندما تستحى أن يراك أحدٌ وأنت تفعل أمراً .. فأنت بالتأكيد تخون .. مهما كان المجال أو الفعل .. ألا ترون أن القطة التى تعطيها بيدك قطعة اللحم .. تأكلها أمامك .. لكنها لو سرقتها خفية .. فإنها تذهب بها بعيداً عن العيون .. ذلك أنها تعلم أنها خانت .. فاختبأت بخيانتها .. ومادمتم تخشون أن تراكم زوجاتكم أو أبناؤكم أو معارفكم أو أحدٌ من الناس أجمعين .. عندما تعجبون أو تميلون أو تحبون .. فالذى تفعلونه .. خيانة !!.

ياسادة .. الخيانة لا تشترط أن يكون هناك من تخونه .. فمن الممكن أن تحدث خيانتك مع نفسك .. ألم تقرءوا قول الله تعالى .. فى سورة البقرة ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] .. بمعنى .. تخونون أنفسكم بفعل ما نزل فيه نصٌ بتحريمه .. ونؤسس على ذلك بقولنا : إن الفعل الذى تفعلونه «بمسمياتكم المهذبة» .. هو خيانة .. حتى لو كان بينكم وبين أنفسكم .. وحتى لو لم تكونوا متزوجين !!.

* * *

أقولها عن قناعة .. إن الخير كل الخير فى أن تتزوج .. إذا كنت لابد فاعلاً خيانتك .. والخير كل الخير فى أن تقبل زوجتك أن تبقى معك .. أو تأبى فتفارقك .. فذلكم أعون على حفظ حدود الله .. بدلاً من التعدى عليها .. فتكونون بذلك قد ظلمتم أنفسكم .. التى لم تعدلوا معها وأنتم تميليون وتعجبون وتعشقون .. ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١] أما إرضاء النفس بإطلاق مسميات متخففة .. على ما لا

يجب أن نسميه إلا باسمه الحقيقى .. أما إلباسكم الباطل ثوب حق .. أما بحثكم عن تبرير لضعف نفوسكم وظلم أنفسكم وذويكم .. فهذا ظلم بينّ.. وأنا أشفق عليكم من أن تجمعوا بين سوءتين .. فتكونوا .. «خونة» .. و.. «ظالمين» !!.

بصمة

عجيب أمر ذلك الرجل الخائن .. في «أمانته» .. الأمين في .. «خيانته»!!.

فيتامين «سى» السيد

فى حياتنا الثقافية العربية ، شخصيات روائية شهيرة ، نقشت فى ذاكرتنا حروفاً ومعانى ، جعلتها فى الأغلب أكثر شهرة من صانعيها ومجسديها ، ومنها «غوار الطوشة» فى بلاد الشام ، و«سماحة الناجى» و«كبير الرحيمية» فى مصر .. الخ ..

ومع كل النجاح الذى صاحب هذه الشخصيات ، أو صاحبته ، إلا أنه لم تحظ شخصية روائية عربية ، بمثل ما حظيت به شخصية «سى السيد» المحورية فى ثلاثية الأديب النوبلى نجيب محفوظ ، من شهرة ومكانة فى نفوس من قرءوها أو شاهدوها على السواء ، وأغلب الظن أن هذه الشهرة والمكانة جاءتا بسبب الصنعة المحترفة التى رسمت بها ، فلا تكاد توقن وأنت تراها أو تقرؤها ، إن كنت تحبها أم تتعاطف معها أم تكرهها أم ترهبها ، أم تتمنى محاكاتها ، مزيج متداخل من المشاعر كفيل بحفر الشخصية فى الذاكرة .. على علاتها .. وكثير من الأزواج يرون فى شخصية «سى السيد» غاية المنى ، وأسرته تحتضن الانكسار أمامه ، ولا تملك إلاَّ أن تشنف آذانه بين الحين والآخر بالعبارة الشهيرة «حاضر .. أمرك يا سى السيد» ، وخصوصا حرمه «الست أمينة» الوقور .. أو «الساذجة» .. وبالتأكيد فإن معظم هؤلاء الأزواج – لعدم امتلاكهم أدوات صناعة أنفسهم على شاكلته– يضرعون أن يتوصل العلماء إلى استخلاص فيتامين «سى» السيد ، فى صورة حقن أو كبسولات أو حبوب ليتعاطوها وقت أن يعز تحمل الإحساس بالعجز أمام «جبروت» زوجاتهم .

وفى الناحية الأخرى من الملعب ، تقف الزوجات مترددات ، بين القبول والرفض ، فالرجل لا غبار على هيبته المبهرة ، ولا على نضجه واتزانه ورجاحة تصريفه للأمور وأدائه الصلوات لوقتها ، ولا على صوته المهيب الذى «يهز الأبواب والنوافذ» إذا نادى على أحد أبنائه أو على زوجته ، وبدون الخوض فى تفاصيل التحليل النفسى للشخصيتين ، فأنا أعتقد أن سى السيد صاحب شخصية «شيزوفيرنية» وأن زوجته الست أمينة هى صاحبة شخصية «ماسوشية» أقول .. بدون الخوض فى ذلك فإن .. أقرب نماذج القدوة والأسوة - فى زمن ندرتها - لنفوس الناس ، هى النماذج المجسدة على الشاشة ، كبيرها وصغيرها ، ونظراً للحرفية العالية لصناع هذه النماذج، وللتقنية المتقدمة لأدوات إنتاجها ، ومكانة مجسديها لدى الجمهور ، فإنها تصبح جزءاً من حياة الناس ، ونموذجاً يحتذى به البعض حسب مكامن التعويض أو القابلية للتوحد فى شخصية كل منهم .

الخطورة تأتى من اعتناق مبدأ «القبول الكامل .. أو الرفض الكامل» ، الخطورة أن ننبهر فى هذه النماذج بالجانب الإيجابى وهو موجود بالتأكيد - فنقبل معه الجوانب السلبية العديدة ، مع أن الأقرب للمنطق أن نأخذ من كل حسنه ، ونرد على كلٍ سوءه ، ثم ندعو الله أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وفى المتواتر الإسلامى ، أن امرأة على قدر كبير من الجمال تزوجت رجلاً دميم الخلقه ، فكانت تداعبه بقولها : «يا زوجى العزيز .. هل تعلم أننى وأنت فى الجنة إن شاء الله» ، فيجيبها لماذا ؟ فتقول : «لأنك رزقت مثلى فشكرت ، ورزقت مثلك فصبرت» والله جل وعلا يبشرنا بأن الصابرين والشاكرين فى الجنة» .

هذه نماذج .. وتلك نماذج وبينهما نقف أزواجاً وزوجات ، ننقب عما ينفعنا ويمكث فى الأرض ، ونتحاشى الزبد الذى يذهب جفاء .

ما أحرانا أن نأخذ كأزواج - من «سى السيد» جديته وحسمه ورجولته وقوة شخصيته وحنانه على أبنائه ، ونحجم عن مجرد ذكر سلبياته وإسرافه فى أمره ، حتى لا تشيع الفاحشة .

وما أحرانا أن نأخذ - كزوجات - طاعة وإخلاص ووفاء وصدق «الست امينة» ، وندع لها تقوقعها حول ذاتها وإهدارها لحقها فى المشاركة ، ومعرفة كل ما يجرى فى حياتها وحياة زوجها ، لتعينه - إن استطاعت - على أن يكبح جماح نفسه الأمارة بالسوء ، ويمسك بزمام أمر دينه المنفلت، ليصبح لها الحق فى يوم ما أن تشير إليه وتقول : «أنا شاركت فى صنع هذا الرجل .. الذى يبهركم» .

حكمة

الرضا بالواقع المؤلم .. قناعة من نوع حقير..!!

أما بعد ..

فمازال للضيق بقية .. ومازال لساني معضوضاً تحت أضراس الغيظ منهما .. فالشعرة بينهما «سميكة جداً .. وكلاهما متشبث بوجهة نظره بـ «غشم» منقطع النظير .. وكلاهما يعتقد أنه يعرف أكثر مما يسمح له بتلقي المزيد .. والمرسل منهما «متعمد» والمتلقي «متنمر» .. والمشاهد «شامت» والجميع خاسر !!

ولعلي – ببعض ماكتبت وقرأتم – أكون قد أفلحت في إماطة بعض اللثام عن بعض الآثام .. ولعلي – ببعض ما كتبت ولم ينشر – أكون قد أطلقت بعضاً من لساني من تحت أضراس غيظي ولعلي – بما لم أكتب بعد – شَقِيٌّ .. أو سعيد!!.

فإلى لقاء في كتاب قادم .. أنكأ فيه مزيداً من الجرح .. ليتقيأ ما بداخله أنيناً .. متمنياً ألا تلهينا غزارة الألم عن مراقبة أنفسنا ونحن نتطهر بالأنين !!

المؤلف

الفهرس

أما قبل ..	٥
عقوق .. النساء !	٩
كلام عيال	١٢
المقعد الشاغر	١٥
استهلال	١٨
ألف نهار .. ونهار	٢٠
فلسفة الصمت !	٢٤
الجوع كافر .. للرجال فقط	٢٨
التفكير .. بالجسد !	٣٢
علاقات .. « كلينكس » !!	٣٥
المحاكمة	٣٩
فتش عن الرجل	٤٣
ماذا .. لو عاد الزمان ؟!!	٤٦
الزوجة الثانية ..!!	٥٠
الخل .. الوفى !!	٥٥
المرأة المجهولة ..!!	٥٨
زوجى .. مراهق !!	٦٢
غباء الرجال ..	٦٦
أبو العيال وهمومه !!	٧٠
الزوجة .... الخرساء !!	٧٥
تسلط الرجال ..!	٧٨

زوجى .. « بارد » !!	٨٢
رجل « المرأة الواحدة » !!!	٨٧
الوصية ...!!	٩٠
بين الذكورة .. والرجولة !!	٩٤
مثلث الرعب ..!!	٩٧
بلا .. أبناء ..!!	١٠٤
كذابون .. بلا خجل !!	١٠٩
القطة .. المغمضة ..!!	١١٣
بيضة الديك ..!!	١١٧
ترويض الرجل ..!!	١٢١
الفتى .. الأسمر !!	١٢٦
أنواع الرجال ..!!	١٢٩
قيس .. والمجنونة ..!!	١٣٤
طلاق .. بالمراسلة !!	١٣٨
كيد .. الرجال ..	١٤٠
الحبيب ... الأخير	١٤٣
دموع الرجال	١٤٧
خيانة .. زوجية !!	١٥١
ڤيتامين « سى » السيد	١٥٥
أما بعد ..	١٥٨

رقم الإيداع : ٩٦ / ٨٧٢٥

977 - 271 - 205 - 9

طبع بمطابع ابن سينا بالقاهرة

فى هذا الكتاب

* مجموعة من المقالات التى حرص فيها المؤلف على أن يستقطر الذاكرة حروفاً تحكى .. وتحكى ..

* وجهات نظر أودعها المؤلف طيات هذا الكتاب راصداً الواقع الذى تتحرك فيه شخوصه من الرجال والنساء...

* وجهات نظر .. تلاحقت فيها الخبرات مع حصاد التجوال فى أرض الله .. للعلم والعمل ...

* أفكار جديدة عن المرأة والزوجة والبيت .. والصديق.. عن غباء الرجال وذكاء النساء .. عن المقعد الشاغر فى حياة كل منا ..

* فى هذا الكتاب قد ترى وتسمع الكثير والجديد .. وتتعرف على أنواع من الرجال .. وتسأل نفسك ماذا لو عاد الزمان ؟؟!!

مطابع ابن سينا
القاهرة ت: ٣٢٠٩٧٢٨٠ فاكس: ٢٤٨٠٤٨٣